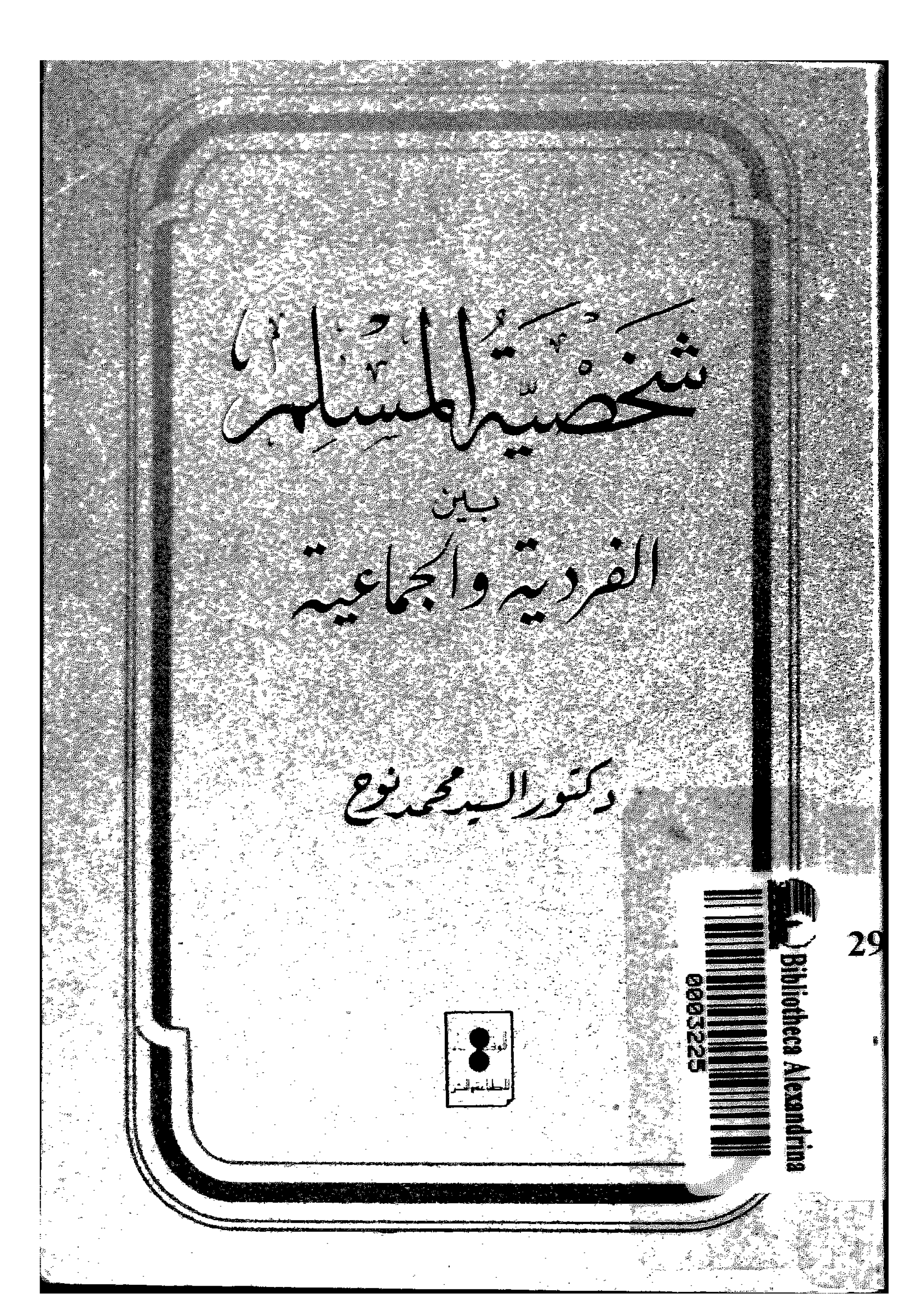

شخصية المسلم
بين
الفردية والجماعية
دكتور السيد محمد نوح

شخصية المسلم

بين

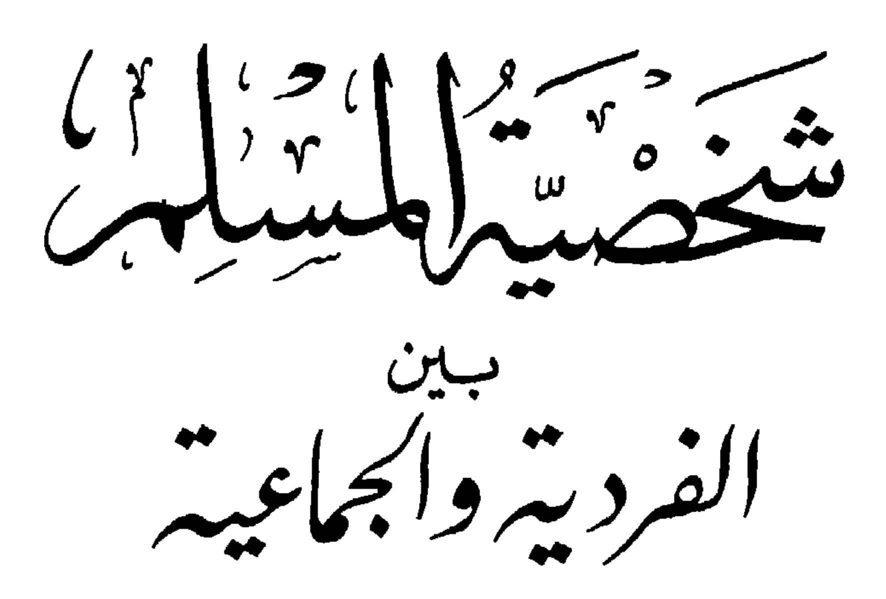
الفردية والجماعية

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
الطبعة الثانيــة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
الطبعة الثالثــة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش م م

الإدارة والمطابع المنصورة ش الامام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢ / ٣٥٦٢٣
المكتبة : امام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣ تلكس DWFA UN 24004



دكتور السيد محمد نوح

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله ، والحمد لله ، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمد رسول الله - ﷺ - وعلى آله وأصحابه ، والسّالكين سبيله ، والدّاعين بدعوته إلى يوم الدين وبعد .. فإن الأمة الإسلاميه تعانى فى الوقت الحاضر ، أكثر من أىّ وقت مضى من كثير من العلل ، ومِنْ كثير من الأمراض .
بَيْدَ أن أخطر هذه العلل ، وتلك الأمراض ، وأشدَّها فتكاً بحياة هذه الأمة ، إنما يكمن في :

خراب الشخصيّة المسلمة ، أو على الأقلّ فقدانها توازنها مِنْ كلِّ النَّواحي الفكرية والروحيَّة والبدنيَّة ، بل واستمرار هذا الخراب أو هذا الخلل ، حتى صارت هذه الشخصية شخصيّة أنانيّة ، خوَّارةً ، جبانةً ، يائسة ، قنوطًا ، انطوائية ، انعزاليّة ، إمَّعة ، تحب النوم والراحة ، وتستمرىء الذُّلَّ والهوان إلا من رحم الله .

أجل : لقد كان خراب الشخصية المسلمة ، أو على الأقل فقدانها توازنها من كلّ النّواحي ، بل واستمرار ذلك هو أخطر ما نزل بهذه الأمّة من علل وأمراض ، وأشدُّها فتكًا بها .

نظرًا لأنّه انتهى بها إلى الفرقة المستمرة ، والتمزق الدائم على كلّ المستويات الداخليّة والخارجيّة ، الشعبية والقيادية . وكذلك انتهى بها إلى القعود عن أداء رسالتها وهذا بدوره أطمع - فيها أعداءها ، وأوقعها فريسة بين أنيابه وفي فكّيه ، حتى صارت تابعة له في كل ما يصدر عنها من أقوال وسلوكيات ، بل حتى في الخواطر والمشاعر النفسية .

ولابد أن تتحرر هذه الأمّة من كل تبعيّة ، وتعمل على استعادة مركزها ومكانتها بين أمم الأرض ، لتضمن لنفسها حياة طيبة كريمة في الدنيا ، وفوزا ونجاة في الآخرة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا من ذكر أو أُنْثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحيينَّهُ حَياةً طَيِّبَةً ، ولَنَجْزِينَّهم أَجْرَهُم بأَحْسنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾[1] ﴿ فَمنْ اتّبع هُدَايَ فَلَا يَضِلّ ولا يَشْقَى ﴾[2] هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى حتى تحفظ على هذه البشرية الهائجة الجامحة حقَّ الحياة ، إذ البشرية اليوم أشبه بمجنون في حالة هياج وجماح شديدين ، يريد أن يدمّر غيره ، وأن يقتل نفسه ،

---

(١) سورة النحل : ٩٧ .

(٢) سورة طه : ١٢٣ .

حسبنا أنها خاضت حربين عالميتين في أقل منْ نصف قرن من الزَّمان تكبدت فيهما خسائر مادية وبشرية تكاد تجعل الولدان شيبا[1] .

والحرب العالمية الثالثة على الأبواب ، ولو وقعت – لا قدّر الله – لأتت على الأخضر واليابس ، وتكون نهاية العالم ، بسبب التقدم النووي الهائل لاسيما في مجال العلوم العسكرية .

وليس على وجه الأرض اليوم ، وإلى أن تقوم الساعة ، أمة قادرة على القيام بهذه المهمة – أعني مهمة حفظ الحياة على البشرية جميعا – سوى الأمّة الإسلامية إذا هي التزمت بإسلامها .

لابدَّ إذن أن تتحرر الأمة الإسلاميّة من كلِّ تبعة ، لتمسك بزمام الحياة مرَّة أخرى وتوجهها التوجيه الصحيح الذي يسعدها ، ويحفظ حق الحياة لغيرها من الناس .

وسبيل ذلك أن تبدأ من حيث انتهت ، أو وقفت ، وقد انتهت أو وقفت كما قدمنا عند خراب الشخصية المسلمة أو فقدانها توازنها من جميع النواحي الفكرية والروحية والبدنية إلّا من رحم الله .

---

(١) بلغت جملة خسائر الحرب العالمية الأولى والثانية حسب آخر الإحصائيات التى نقلها الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ الأرقام التالية : « ٢١ مليون نسمة أصيبوا فى الحرب العالمية الأولى ، القتلى منهم ٧ ملايين ، ٥٠ مليون نسمة أصيبوا فى الحرب العالمية الثانية ، وبلغت =

إذن فلتبدأ من هذه النقطة ، ولتعمل جاهدة على إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير ، المتأبّية على كل خصال الشر ، المستأهلة لعون الله وتأييده ونصره ، والتي شعارها في هذه الحياة :
﴿ قُلْ إنَّ صَلَاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَمَاتِي لله ربِّ العَالَمينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرتُ وأنَا أوَّلُ المُسْلِمين ﴾[1] .

ولعل أوّل لبنة في بناء هذه الشخصيّة المنشودة إنّما هي المعرفة أو الفقه أو الفهم الدقيق الواعي لأبعادها ، ومعالمها التي ينبغي أن تكون عليها ، والمنهج الأمثل لتحقيق هذه الأبعاد ، وتلك المعالم .

مِنْ هذا المنطلق كانت هذه الدِّراسة : « شخصية المسلم بين الفردية والجماعية » وإنها لدراسة بسيطة متواضعة من أجل المشاركة أو المساهمة في تكوين هذه اللبنة ، والله من وراء القصد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أبو عبادة

= تكاليف قتل رجل واحد فى الحرب الأولى عشرة آلاف جنيه أما مجموع نفقاتها فيبلغ سبعة وثلاثين مليونا من الجنيهات ، وقدرت نفقات الحرب العالمية الثانية لساعة واحدة بمليون من الجنيهات وذلك كثير جداً لو قورن بما وقع فى عصر النبوة إذ لم يزد عدد المقتولين من الفريقين (المسلم والكافر) فى جميع الغزوات والسرايا والمناوشات التى ابتدأت من السّنة الثانية للهجرة ، ودامت إلى السنة التاسعة على ١٠١٨ نسمة ، المسلمون منهم ٢٥٩ ، والكفار ٧٥٩ .

(١) سورة الأنعام : ١٦٢ ــ ١٦٣ .

مَدْخــل

لا يشك عاقل يحترم نفسه في أن الإنسان – كغيره من المخلوقات – صنعة الله ، خلقه ليكون سيّدا في هذا الكون . عبدًا لرب هذا الكون .

﴿ وإذْ قَالَ ربُّك للمَلائِكَةِ إنِّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً .. ﴾[1] ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الأَرض واستعمركم فيها .. ﴾[2] ﴿ وما خلقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ﴾[3]

وحتى يتمكن الإنسان من القيام بهذه المهمَّة – أعني مهمَّة السيادة في ضوء العبوديّة التامَّة لله رب العالمين – زَوَّده الله في ذاته وتكوينه بما يعينه على ذلك ، فخلقه مؤلفًا من جسد وعقل وروح ، أو من مادة ونفس أو معنى .

﴿ الذي أَحْسَنَ كلَّ شَيءٍ خَلقَهُ وبَدأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِين ثُمَّ جَعَل نَسْلَهُ مِنْ سُلَالةٍ مِن مَّاءٍ مَهين ، ثم سوَّاهُ ونَفَخَ فيه مِنْ

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) سورة هود : ٦١ .

(٣) سورة الذاريات : ٥٦ .

رُوحِه وجَعَل لكُم السَّمعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ قليلاً ما تَشْكُرون ﴾[1] وأمدَّ النفس أو المعنى بِطائفةٍ من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية .
كلُّ غريزتين منها متجاورتان في النفس . وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه :

الخوف والرجاء ، الحبُّ والكره ، الاتجاه إلى الواقع ، والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسيّة ، والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدركه الحواس ، والإيمان بما لا تدركه الحواس ، حب الالتزام والميل للتطوع ، السلبية والإيجابية ، الاستعلاء والتواضع ، الشدّة واللين .... وهلمّ جرًّا .

كلها غرائز متوازية ومتقابلة — كما نرى — وهي بتوازيها وتقابلها تؤدي مهمَّتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، وكأنما هي أوتاد متفرقة متقابلة تشدُّ الكيان كلّه ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهي في الوقت ذاته توسِّع أفقه ، وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ولا في مستوى واحد[2] وصدق الله العظيم : ﴿ ونَفْسٍ ومَا سوّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا ﴾[3] .

---

(١) سورة السجدة : (٧ – ٩) .
(٢) منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب ١ /١٢٦ بتصرف .
(٣) سورة الشمس : ٧ ، ٨ .

بيد أن أداء كلٍّ غريزتين من هذه الغرائز المتوازية المتقابلة لهذه المهمَّة مشروط بتنمية بل وتحقيق التوازن بينهما ، بحيث لا تطغى أو لا تبرز واحدة منهما على حساب الأخرى .

وذلك ما أرشد إليه الحقُّ سبحانه في قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾[1]﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[2]، وهو ما وعاه وانتبه إليه سيدنا عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – حين قال : « خالطِ النَّاس ودينك لا تكلمنَّه »[3].

---

(١) سورة الأعلى : ١٤ .
(٢) سورة الشمس : ٩ .
(٣) انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ١ /١١٠ .

الفصْل الأوَّل

الفردية والجماعية عند الإنسان

وتعدُّ الفردية أي الاعتداد بالنفس ، والحفاظ على ذاتيتها واستقلالها وكيانها وكذلك الجماعية أي الميل إلى العيش في الجماعة ، والتعايش معها من الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني .

كل واحدة توازي الأخرى ، وتقابلها أو تصادها ، كما يشهد بدلك واقع الإنسان نفسه فإننا نرى الطفل وفيه حرص منذ نعومة أظفاره على اعتداده برأيه ، ورغبته في الاستقلال بنفسه ، في الوقت الذي يميل إلى مخالطة أقرانه وأترابه ، والتنازل عن بعض حظوظ نفسه ، وخفض الجناح لهم ، ومحاولة الذوبان فيهم ، والتعايش معهم .

وكما تشهد بذلك بعض النصوص الشرعية التي تتضمن مسئولية الإنسان عن عمله ، فردية كانت هذه المسئولية أو جماعية ..

كقوله تعالى ﴿ وكلَّ إنسَانٍ أَلْزَمناهُ طَائِرهُ في عُنُقهِ ونُخْرِجُ لهُ يومَ القيَامةِ كتَابًا يلْقاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنفْسِكَ اليومَ

عليْكَ حَسِيباً ﴾(١) ﴿ ولَا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخْرىَ وإن تدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنه شيءٌ ولَوْ كَانَ ذَا قُربَى ﴾(٢) ﴿ وأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إلَّا ما سَعَى وأَنَّ سَعْيهُ سَوفَ يُرىَ ثمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾(٣) ﴿ كلُّ امرىءٍ بما كَسَبَ رَهِينٌ ﴾(٤) ﴿ كلُّ نَفْسٍ بمَا كَسَبتْ رَهِينَةٌ ﴾(٥) ﴿ لكلِّ امرىء منهم يَومئذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٦) ﴿ بَل الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصيرةٌ ولَوْ أَلقَى مَعَاذِيره ﴾(٧) ﴿ كُنتُم خَيْرَ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوفِ وتَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنونَ باللهِ ﴾(٨) ﴿ وَاتَّقُوا فِتنةً لا تصيبنَّ الَّذِينَ ظَلَموا مِنْكُم خَاصَّةً ﴾(٩) ﴿ يأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكم مِنَ الكفَّارِ وَلْيَجِدُوا فيكُم غِلظَةً ﴾(١٠) ﴿ يأَيُّها الَّذِينَ آمنَوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُركُم ويثبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١١) ﴿ وإنْ طَائِفتَانِ

---

(١) سورة الإسراء : ١٣ .
(٢) سورة فاطر : ١٨ .
(٣) سورة النجم : ٣٩ – ٤١ .
(٤) سورة الطور : ٢١ .
(٥) سورة المدثر : ٣٨ .
(٦) سورة عبس : ٣٧ .
(٧) سورة القيامة : ١٤ ، ١٥ .
(٨) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٩) سورة الأنفال : ٢٥ .
(١٠) سورة التوبة : ١٢٣ .
(١١) سورة محمد : ٧ .

مِنَ الْمُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَىٰ فقاتِلُوا التي تَبْغِي حتى تَفيءَ إلى أمْرِ اللهِ فإنْ فَاءَتْ فَأصْلِحُوا بينهما بِالْعَدْلِ وأقسِطوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المقْسِطِين ﴾[1] .

وهذا التوازي مع التقابل أو التضاد إذا أحسن توجيهه ، ووضع في مساره الصحيح ، فإن له دوره الإيجابي ، وأثره الفعال في النفس البشرية وفي واقع الحياة .

أمّا إذا أهمل وانحرف عن مساره الصحيح ، فإنه يؤدي إلى التناقض والقلق في داخل النفس وبالتالي الخلل والاضطراب في واقع الحياة .

يقول الأستاذ محمد قطب :

« الفردية والجماعيّة من الخطوط المزدوجة في كيان الإنسان ، هذان الخطان المرتبطان المتناقضان : إحساس الإنسان بفرديته وإحساسه بالميل إلى الاجتماع بالآخرين ، والحياة معهم كواحد منهم ، وهذه الظاهرة ذات أثر بالغ في الحياة البشرية ... فكيان المجتمع كلّه قائم على محاولة التوفيق بين هذين الخطين ، كل منهما حقيقة ، وكلٌ منهما أصيل ، والتناقض يحدث في باطن النفس ، كما يحدث الاضطراب في واقع الحياة ، حين تزيد

---

(1) سورة الحجرات . 9

النسبة المقررة لكل واحد ، فينحرف عن مساره ، ويعتدي على مسار الآخر ويشده إليه ، أمّا حين يأخذ كُلٌّ منهما مداره الصحيح ، فلن يحدث التنافر بين الفرد والجماعة أو يحدث التشاق »[1] .

ولئلّا يكون كلامنا نظريا مجرّدا فإننا سنسوق الآن الآثار الإيجابية والسلبية لكل من الفردية والجماعية على كيان المسلم ، وفي واقع الحياة .

---

(١) منهج التربية الإسلامية ١ /١٦٢ ، ١٦٣ .

الفصل الثاني
آثار الفردية والجماعية على كيان المسلم وفي واقع الحياة

قدمنا أن لكلٍّ من الفردية والجماعية آثاراً إيجابية وأخرى سلبيـة على كيـان المسلـم وفي واقـع الحيـاة ، بحيث إذا نَمَتْ كل واحدة منهما بالقدر المطلوب أو المناسب ولم تتعارض أو لم تتناقض مع الأخرى كانت الآثار الإيجابية التي تسعد الإنسان ، وتطيب بها الحياة .

أما إذا أهملت وزادت إحداهما على الأخرى أو تلاشت ، كان شقاء الإنسان وفساد الحياة وإليكَ هذه الآثار :

أ – الآثار الإيجابية للفردية

وتتلخص الآثار الإيجابية للفردية على كيان المسلم وفي واقع الحياة فيما يأتي :

١ - إعمال النظر والفكر :

ذلك أن المسلم يشعر أن غفلته عن النظر في نفسه وفيما حوله ، وخموله عن إعمال فكره فيهما ، يتيحان الفرصة لسيطرة غيره عليه ، ممن يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، بل والحيلولة بينه وبين أن يحيا الحياة العادية التى ينشدها كلُّ إنسان عرف إنسانيته في هذه الحياة الدنيا ، هذا فضلا عن كونه قد عرّض نفسه بذلك لغضب الله وعقابه .

إذ يقول النبي ﷺ - تعقيبا على الآيات الأخيرة من سورة آل عمران ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ إلى قوله : ﴿ ربَّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ﴾ .
يقول : « ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها »[1] .

لذا فإن المسلم الذي أحسَّ بفرديته ، ووجد ذاتيته حريص على إعمال النَّظر ، وإجالة الفكر فيما حوله أو في كلِّ ما يحيط به . من أجل تطويعه والانتفاع به - مرضاة لله أولا ، ثم حفاظا على هذه الذاتية أو الفردية ثانيا .

(١) الحديث جزء من حديث طويل أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ١ /٤٤٠ - ٤٤١ من طريقين عن عطاء الأولى بلفظ : « انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة - رضي الله عنها - فدخلنا عليها ، وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر : زر غبًّا تزدد حبًّا =

٢ - مضاعفة النشاط والجهد :

ذلك أن المسلم يدرك أن تراخيه وتقصيره في بذل النشاط والجهد يمكنان غيره من أعداء الله مِنْ سَبْقِهِ والإمساك بزمامه ، نظرا لأن الحياة تقوم على السبق والمغالبة على حدّ قول القائل :

وما نيل المطالب بالتَّمنِّي ولكن تؤخذ الدنيا غلابا[١]

الأمر الذي يحول بينه وبين الحياة الحرة الأبيَّة الكريمة . هذا فضلا عن كونه قد خالف بذلك أمر الله ورسوله .

إذ يقول الحق سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ الله لمَعَ المُحسنِين ﴾[٢] ، ﴿ سَابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ

= فقال ابن عمر ذرنا ، أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت وقالت : « كل أمره كان عجبا ، أتاني في ليلتي حتى مسَّ جلده جلدي ، ثم قال : ذريني أتعبَّد لربِّي - عز وجلَّ - قالتْ : فقلتُ : والله إنِّي لأحبُّ قربك ، وإنِّي أحبُّ أن تَعْبَدَ رَبَّك ، فقام إلى القربة فتوضأ ، ولم يكثر صبَّ الماءَ ، ثم قام يصلِّي فبكى حتى بلَّ لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بلَّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى. حتىَ إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قالت : فقال يا رسول الله : ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله عليَّ في هذه الليلة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنَّهار لآيات لأولي الألباب ﴾ ، ثم قال : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » والطريق الأخرى بنحوه ، ثم عزاها - أي ابن كثير - إلى ابن مردويه ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان .

(١) البيت من قصيدة : « ذكرى المولد » لأمير الشعراء أحمد شوقي كما في الشوقيات ١ /٧١ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأَرْض ﴾(1) وإذ يقول النبي ﷺ : « كُلُّ ميِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلَّا الَّذي مَاتَ مُرابطًا في سبيل الله فإنَّه يُنَمَّي له عَمَلُه إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ، ويَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ » (2).

وعليه فإن المسلم الذي اكتملت فرديته ، وأحسّ بذاتيته ـــ حريص على مضاعفة النشاط والجهد من أجل السيطرة والإمساك بزمام الحياة ، بل وتوجيهها نحو النافع المفيد الذي يسعده ويسعد البشرية ، ويسمو بها إلى العلياء في كل مكان ، مرضاة لله أولا ، ثم صيانة لهذه الذاتية أو الفردية ثانياً .

٣ – المشاركة بالرأي الفعّال :

ذلك أن المسلم يعي أن الحياة مليئة بالمواقف الغامضة ، والقضايا المشكلة ، وأن النجاح في الخروج من هذه المواقف ، وتلك القضايا يوجب المشاركة بالرأي الفعّال ، وإلّا فإن هذه المواقف الغامضة ، وتلك القضايا المشكلة ، ستسد الطريق في وجهه ، وتقعد به عن متابعة مسيرة الحياة إلى نهايتها .

---

(1) سورة الحديد : ٢١ .

(2) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء في فَضْل مَنْ مات مرابطا ٤ /١٦٥ رقم ١٦٢١ من حديث فضالة بن عبيد مرفوعا به ، وزاد : « وسَمعتُ رسول الله ﷺ يقول : المجاهد مَنْ جاهد نفسه » ثم عقّب عليه الترمذي بقوله : « وحديث فضالة حديث حسن صحيح » .

لهذا فهو يحرص – بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من ذاتيته أو فرديته ثانيا – على المشاركة بالرأي الفعّال في كل ما يعترض طريقه من أجل الاستمرار في المسيرة إلى نهاية الشوط الأخير فيها .

٤ – القدرة على مجابهة مشاق وتكاليف الطريق :

ذلك أن المسلم يعلم أن الطريق كلها مشاق وتكاليف ، وما لم يجمع همته ، ويعلي إرادته ويقوّي عزيمته ، فإنه لن يستطيع مجابهة هذه المشاق ، وتلك التكاليف الأمر الذي يؤدي إلى هلكته ، وبالتالي غيابه عن مسرح الحياة ، هذا فضلا عن كونه قد عرّض نفسه بذلك للحساب والمساءلة غدا من الله سبحانه وتعالى ، نظرا لأنّه لم يجاهد نفسه ، ولم يعوّدها الصبر والتحمُّل ﴿ ... وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ﴾[1]

لذا فهو حريص ـــ بدافع من دينه أولا ثم بدافع من ذاتيته ثانيا ـــ على جمع همته ، وإعلاء إرادته ، وتقوية عزيمته ، حتى يتمكن من مجابهة مشاق وتكاليف الطريق ، فيبقى حاضرا على مسرح الحياة مؤثرا فيها ، ويسلم غدا من الحساب والمساءلة .

---

(١) التوبة : ٤٢ .

٥ - الجهر بالحق وحمايته من تطاول المتطاولين ، وعبث العابثين :

ذلك أن المسلم يدرك أن السكوت عن الجهر بالحق والتقصير في حمايته بعد النصح بالحسنى ، يفسح المجال أمام الباطل ، فيتطاول المتطاولون ويعبث العابثون ، وتتحول الأرض بعد فترة من الزمان إلى بؤرة من الشرّ والفساد .

وينعكس ذلك أول ما ينعكس عليه شخصيا ، فتصادر حريته ، ويحال بينه وبين أن يحيا الحياة الأبيّة الكريمة ، هذا فضلا عن عقاب الله الذي ينتظره في الآخرة ، وقد صور القرآن الكريم والسنة النبوية عاقبة هذا السُّكوت ، وذلك التقصير في الدنيا والآخرة .

فقال الله سبحانه : ﴿ ولَوْلَا دَفْعُ الله النَّاس بَعضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدتْ الأَرْض ﴾[1] . ﴿ ولولا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيعٌ ، وَصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيها اسم الله كَثِيرًا ﴾[2] .

وقال النبي ﷺ : « مثل المدهن في حدود الله ، والواقع فيها . مثلُ قوم استهموا سفينة ، فصار بعضهم في أسفلها ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) سورة الحج : ٤٠ .

وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذي في أعلاها ، فتأذّوا به ، فأخذ فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالك ؟ قال : تأذيتم بي ، ولا بدّ لي من الماء ، فإن أخذوا على يديه أنْجَوْهُ ونجَّوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه ، وأهلكوا أنفسهم »[1] .

وعليه فإن المسلم حريص – بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من فرديته ثانيا – على الجهر بالحق وحمايته بكل ما يملك ، لئلا يتطاول عليه المتطاولون أو يعبث به العابثون ، فيهان في نفسه ، وتفسد الحياة .

٦ – الدفاع عن النفس وسائر الحرمات :

ذلك أن المسلم يوقن أن وقوفه مكتوف الأيدي أمام كل من يعتدي عليه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في باقي الحرمات ، يجعله هدفا لكل غاد ورائح ، الأمر الذي يحول بينه وبين التفرُّغ لأداء مهمّته أو رسالته في هذه الأرض ، هذا فضلا عن كونه قد خالف هدى الإسلام في ضرورة الدفاع عن

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الشهادات : باب القرعة في المشكلات ٣ /٢٣٧ – ٢٣٨ ، والترمذي في : السنن : كتاب الفتن : باب منه ٤ / ٤٧٠ رقم ٢١٧٣ كلاهما من حديث النعمان بن بشير ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ مرفوعاً به . واللفظ للبخاري .

النَّفس وعن سائر الحرمات ، إذ يقول النبي ﷺ - « مَنْ قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد »[1]

لذا فهو حريص ـــ بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من فرديته أو ذاتيته ثانيا ـــ على الدفاع عن نفسه ، وباقي المحرّمات بكل ما يملك من إمكانات ووسائل حتى يظلّ ماضيا في أداء مهمته أو رسالته فيظفر بالحياتين : الأولى والآخرة .

٧ - الطاعة في غير المعصية :

وذلك أن المسلم يُؤْمِنُ أن اتخاذ إمام أو أمير أو وليٍّ أمر فوق - أنّه شِرْعةٌ ودين - فهو ضرورة لابدّ منها .نظرا لأنّه يساعد على وضع الأمور في نصابها والقضاء على الفوضى في حياة النّاس ، فيستهل الانتفاع أو استغلال الجهد ، والوقت والمال .

ويُؤْمِنُ كذلك أن هذه الطاعة مشروطة بكونها ، في غير المعصية لتجنب الأخطاء التي هي طبيعة البشر ، بل لتجنُّب

---

(١) الحديث أخرجه أبو داوُد في : السنن : كتاب السنّة : باب في قتال اللصوص ٤ /٢٤٦ رقم ٤٧٧٢ ، والترمذي في : السنن : كتاب الديات : باب ما جاء فيمن قتل دون مالـه فهو شهيد ٤ /٣٠ رقم ١٤٢١ كلاهما من حديث سعيد ابن زيد مرفوعا به واللفظ لأبي داوُد ، وقال الترمذي عقيبه : « هذا حديث حسن صحيح » .

التسلط أو الاستبداد الذي يقتل الرجولة ويقضي على الحريّة والكرامة ، فضلا عن كونه يعرّض لغضب الله وانتقامه .

لذا فإن المسلم حريص – بدافع من دينه أولا ، ثم بدافع من فرديته ثانيا – على الطاعة المبصرة أي التي تكون في غير معصية الله – عزَّ وجلّ .

٨ – بذل وقبول النصيحة :

ذلك أن المسلم يدرك أن الخطأ شأن الإنسان وطبيعته ، وأن علاج هذا الخطأ إنّما يكون ببذل النصيحة للغير ، وقبولها من الغير ، وإلّا تراكمت الأخطاء ، وكان الهلاك والبوار .

لذا فهو يحرص – مرضاة لله أولا ، ثم حمايةً لفرديته ثانيا – على بذل النصيحة مقرونة بشروطها وآدابها ، بل وعلى قبول هذه النصيحة من الغير إن كان الخطأ منه ، لتظلَّ النفوس صفحة بيضاء ولتطيب الحياة .

٩ – محاسبة النَّفس :

ذلك أن المسلم لا يخفى عليه أن الخطأ سمة البشر ، وأنه ليس عيبا أن يخطىء ، وإنما العيب كل العيب أن يصرَّ على الخطأ ، ولا يخفى عليه كذلك أن محاسبة النفس سبيل من أنجح السبل للتعرف على عيوب النَّفس وآفاتها ثم علاجها والتطهُّر

منها كما قال الله عزّ وجل : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِين آمنوا اتَّقُوا الله ولتَنْظُر نَفسٌ ما قدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[1]

لذا فهو حريص ــ مرضاة لله ــ عزّ وجلّ ــ أولا ثم صيانة لفرديته ثانيا ــ على محاسبة نفسه ، لئلا تتراكم عليه الأخطاء ، فتضطرب النفس من داخلها وبالتالي تفسد الحياة .

ب - الآثار الإيجابية للجماعية

وكذلك الجماعية إذا نَمَتْ في النَّفْس بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقص فإن لها آثارا إيجابية على كيان المسلم وفي واقع الحياة يمكن تلخيصها فيما يأتي :

١ - اكتشاف النفس :

أي مساعدة المسلم على اكتشاف شخصيته وما تنطوي عليه من كمال ، أو نقص قوة ، أو ضعف ، ذلك أن الإنسان مهما يكن ذكاؤه ومهما تكن فطنته لا يمكنه وحده التعرف على أبعاد شخصيته معرفة دقيقة ، وإنما لا بد له من آخرين يساعدونه على ذلك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر لا يستطيع الانسان أن يكتشف ما في شخصيته من أثره وأنانيـة أو إيثار وتعاون إلا إذا عاش في جماعة ، وخالط أفرادها ورأى أصحاب الحاجات منهم ، ثم يبصر نفسه هل تقسو وتجمد ؟ فتشح

(١) سورة الحشر : ١٨ .

وتبخل وحينئذ تكون الأثرة والأنانية ، أو ترق وتلين ؟ فتجود وتعطي ، وحينئذ يكون الإيثار والتعاون وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما في شخصيته من حلم وأناة ، أو حمق وعجلة ، إلا إذا كان في جماعة ، وصادف طبقات من غير أولي الكياسة ، ونظر هل يقابل خشونة ألسنتهم باللين ، وغلظة قلوبهم بالرفق ، وهنا يكون الحِلم والأناة ، أو يقابلها بمثلها وأشد ، وهنا يكون الحمق والعجلة ، وأيضا لا يعرف الإنسان ما عنده من الشجاعة الأدبية أو الجبن والخور إلا إذا لزم الجماعة ورأى من يخطىء ، ثم تأمل نفسه هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطىء أن الصواب في غير ما نطقتَ ، والحقُّ في غير ما رأيت ، والخير في غير ما أتيت ، وهنا تكون الشجاعة الأدبية ، أو يعز عليها أن تقول ذلك فتصمت وتخرس وهنالك يكون الجبن والخور .

وبالمثل لا يدرك الإنسان ما تنطوي عليه شخصيته من صدق وكذب ، من أمانة وخيانة من نظام وفوضى إلا إذا عاش وسط جماعة ، وحدث أفرادها أو ائتمنوه على أموالهم ودمائهم وأعراضهم أو ضرب لهم موعدا ، أو أعطى من نفسه عهدا لهم ثم نظر .. هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع ؟ فيكون صادقا ، أو بما يخالفهما فيكون كاذبا .. وهل يحافظ على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؟ فيكون أميناً أو يعتدى عليها ويهدرها فيكون خائناً ، وهل يحافظ على عهده ويفي بوعده ؟ فيكون

دقيقا منضبطا منظما او يهمل ويخالف ؟ فيكون فوضويا غير دقيق ولا منضبط ولامنظم .

وهكذا تعدُ الجماعة حقلا تجريبياً يطّلع المسلم من خلاله على ما في نفسه من كمال أو قصور ، ومـــن قوة أو ضعـــف ، الأمر الذي يسهل عليه أن يعمل - إذا كان جاداً وراغبًا في إقامة هذا الدين في نفسه - أن يعمل على تنمية ورعاية جوانب القوة ، وتقويم وتكميل جوانب الضعف .

وقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى هذا الدور للجماعة حين قال : « المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المؤمن يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه[1] .

وكأنه يقول : الطريق التي يعرف بها المسلم عيبه ومواطن القصور والضعف في شخصيته ، إنما هي الجماعة . لأنها بالنسبة له كالمرآة . والشأن فيمن يعرف عيبه ويدرك قصوره وضعفه أن يسعى جاهداً لإصلاحه وتهذيبه كما يصنع من يقف أمام المرآة وتدله على حاله .

٢ - تقويم الاعوجاج :

أي إصلاح وتهذيب وتقويم ما عساه يكون في شخصيته

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب في النصيحة =

من قصور أو ضعف أو عوج ، ذلك أن الجماعة إذا ساعدت المسلم على اكتشاف عيوبه ثم رأت أنه لا يعمل على التخلص منها لسبب أو لآخر بادرت إلى القيام بدورها بما تراه مناسبا . فتارة تمارس أمامه الصورة الصحيحة والنموذج الأمثل ليقتدى به ويتأسى . وتارة تستخدم النصيحة بشروطها وآدابها . وتارة تلجأ إلى العتاب واللوم وتارة تستخدم التوبيخ والتقريع وتارة تستخدم الهجر والقطيعة لأمد معين .

وهكذا تمارس الجماعة مختلف الأساليب والوسائل . وتسلك سائر الطرق لتعود بشخصية المسلم إلى ما ينبغي .

ولعل هذا الدور للجماعة هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله تكملة الحديث : « المؤمن مرآة أخيه (إن رأى فيه عيبا قوّمه)[1] وبقوله : « الدين النصيحة » قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[2] وفي الأثر : « من يُرد الله به خيراً يهده خليلا صالحا إن نسى ذكره »[3] .

= والحياطة ٤ /٢٨٠ رقم ٤٩١٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا به .

(١) تقدّم تخريجه منذ قليل .

(٢) الحديث أخرجه أبو داوُد في السنن : كتاب الأدب : باب في النصيحة ٤ /٢٨٦ من حديث تميم الدّاري – رضي الله تعالى عنه – مرفوعًا بنحوه .

(٣) الأثر بهذا اللفظ لم أعثر عليه ، لكن أخرج أبو داود في السنن : كتاب =

٣ – توظيف الطاقات :

أي توظيف سائر طاقاته وإعمال غرائزه بما يؤدي إلى التوازن والتكامل في شخصيته ، ويقضي على أى فراغ يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجن في إغوائه وإضلاله . ذلك أن الإنسان – كما قدمنا – مؤلف من جسد وعقل وروح ، والروح مزوّد بطائفة من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منها متجاورتان في النفس ، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه : كالخوف والرجاء ، والحب والكره ، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدركه الحواس ، والإيمان بما لا تدركه الحواس ، حب الالتزام والميل إلى التطوع ، الفردية والجماعية .. السلبية والإيجابية .. الخ .

كلها غرائز متوازية ومتقابلة — كما ترى – وهي بتوازنها وتقابلها تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، كأنما

= الإمارة باب في اتخاذ الوزير ٣ / ١٣١ من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ : « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق : إن نسى ذكّره ، وإن ذكر أعانه ... الحديث وأخرج النسائي في السنن : كتاب البيعة : باب وزير الإمام ٧ /١٥٩ . من حديث القاسم بن محمد عن عمته – أي عائشة – مرفوعًا بلفظ : « من ولى منكم عملا فأراد الله به خيرا ، جعل له وزيرا صالحًا إن نسى ذكّره وإن ذكر أعانه » إلا أن في إسناده بقية ، وحاله معروفة .

هي أوتاد متفرقة متقابلة تشدُّ الكيان كله وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهي في الوقت ذاته توسع أفقه وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ولا في مستوى واحد .. بيد أن تحقيق التوازن والتكامل في حياة المسلم مرهون بإعطاء كل غريزة من هذه الغرائز حقها دون زيادة أو نقص .

والجماعة هي المجال الوحيد الذى يوظف سائر طاقات المسلم ، ويجعل كل الغرائز تعمل بدرجات متساوية ومتوازية في نفس الوقت ، الأمر الذي يؤدي إلى تكوين الشخصية السويّة المتزنة المتكاملة ، الخالية من أي انفصام أو عوج ، والمحصّنة ضد كيد الشيطان وإغوائه ، ولعل هذا هو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : « عليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة »[1] .

٤ – بث الأمل ودفع اليأس :

أي بث الثقة والأمل في نفسه .. ذلك أن المسلم الذي

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن ٩ / ١٠ بهامش عارضة الأحوذي من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعا به ، وعقّب عليه بقوله : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » .

يعمل منفردا لدين الله يعتريه بين الحين والحين خاطر : (ماذا أصنع وحدي ، وأعداء الله – في داخل الأمة وخارجها – كثر ، ولهم خططهم وأساليبهم الخبيثة الماكرة ، وممسكون الآن بخناق العالم الإسلامي) ؟ ولايزال هذا الخاطر يلح عليه وليس عنده ما يدفعه به حتى يدب اليأس والقنوط إلى نفسه فيترك العمل لدين الله .

أما إذا كان يعمل لهذا الدين من خلال جماعة ، وعرض له مثل هذا الخاطر ، فإنه يستطيع دفعه بأنه ليس وحيدا في الميدان ، وإنما هناك آخرون غيره يسيرون معه في نفس الطريق ، ولهم من الوسائل والأساليب والإمكانيات ما يعينهم على مواجهة أعدائهم وإحباط مكايدهم ومخططاتهم .

وهكذا تُبثُّ الجماعة في نفس المسلم الثقة والأمل بأن نصر الله آت لا محالة ، وأن السيادة والغلبة ستكون لدين الله — عزّ وجل —

٥ – تجديد النشاط والهمَّة :

أي تجديد نشاطه بما يقوي عزيمته ويعلي همته ويضاعف من جهده .. ذلك أن المسلم تعتريه في بعض الأحيان حال من الفتور والتراخي بسبب ضخامة الأعباء ، وبعد الطريق ، ومشقة العمل ، فإذا ما التقى بإخوانه وتفرس نور الطاعة في

وجوههم ، ورأى كثرة خشوعهم ، وشدة إقبالهم على ربهم .. زال هذا الفتور وذلك التراخي وامتلأ حماسًا وحيوية ونشاطا فيضاعف من جهده ، كأنما لم يعمل لدين الله من قبل .

وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى هذا الدور حين قال : « ألا أخبركم بخير الناس قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من تذكركم رؤيته بالله عزَّ وجل »[1] .

٦ - اكتساب الخبرات والتجارب :

أي تزويده بكثير من الخبرات والتجارب التي تعينه على مواجهة ما يعترض طريقه من صعاب وعقبات .. ذلك أن طريق العمل لدين الله طريق مليئة بالعقبات ومحفوفة بالمخاطر ، والمسلم الحصيف الذكيُّ هو الذي يملك الخبرة أو التجربة التي تعينه في التغلب على هذه العقبات والنجاة من تلك المخاطر .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن : كتاب الزهد : باب من لا يؤبه له ٢ /١٣٧٩ رقم ٤١١٩ من حديث سويد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن سليم عن أبي خُثَيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا أنبِّئكُم بخياركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « خياركم الذين إذا رُءوا ذكر الله عزَّ وجلَّ » وأورده البوصيري في : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٤ /٢١٥ وعقَّبَ عليه بقوله : « هذا إسناد حسن ، وشهر وسويد مختلف فيهما ، وباقي رجال الإسناد ثقات ، رواه مسدد في مسنده .. وكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ... وكذا رواه عبد بن حميد في مسنده ، وأبو يعلي الموصلي في مسنده من طريق شهر بن حوشب به » .

وليس هناك مجال أرحب وأوسع يكتسب فيه المسلم الخبرات ويتعلم التجارب سوى الجماعة ، ولعلنا بذلك نستطيع أن نفسر دقة السلوكيات والتصرفات الواقعة من الفرد المخالط للجماعة عن نظيراتها من الفرد الذي يعيش وحده .

٧ – التعاون مِنْ أجل التمكين لمنهج الله في الأرض :

أي إعانته على تأدية واجبه نحو دين الله عز وجل ، إذ أن من واجب المسلم نحو دين الله : الدعوة إلى هذا الدين ، والجهاد في سبيله حتى يُمكَّن له في الأرض ، وتبقى رايته عالية في العالمين ، ولن يستطيع المسلم القيام بهذين الواجبين وحده ، وإنما لابد له من أعوان يشدون أزره ويقوون عضده ويعينونه على أمره . ولعل أوضح مثال يؤكد لنا عجز المسلم عن القيام بهذين الواجبين وحده : رغيف الخبز فإنه مع صغر حجمه لا يصل إلى الإنسان إلا بعد عمل عشرات بل مئات من البشر تعاونت على تجهيزه وإعداده وتقديمه .

ومن كان في شك من ذلك فليسأل نفسه : مَنْ حرث الأرض ؟ ومَنْ بذر فيها الحب ؟ ومن سقاه بالماء ؟ ومَنْ اقتلع الحشائش الضارة منه ؟ ومَنْ حصده ؟ ومن نقله إلى الجرن ؟ ومَنْ درسه ؟ ومن فصل الحب عن التبن ؟ ومَنْ طحنه ؟ ومَنْ عجنه ؟ ومَنْ خبزه ؟ ومَنْ سواه بالنار ؟ ومَنْ حمله إلينا ؟ ومَنْ ؟ ومَنْ ..؟ هذا فضلا عن القوى الكونية الأخرى

كالشمس والهواء والماء والتربة .. الخ ، وفوق هذا وذاك يد الله -عز وجل- : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾[1] وعليه فمن زعم أن بوسعه الاعتماد على نفسه في تحصيل هذا الرغيف - الصغير في حجمه البسيط في مكوناته - فإنه سيموت أو يشرف على الموت قبل أن يحصل عليه .

وإذا كانت الحال كذلك في أمر بسيط هيِّن كرغيف الخبز ، فكيف لو كان الأمر أمر دعوة وجهاد - من أجل حماية منهج الله والتمكين له في الأرض . ولعل هذا هو ما عناه الحق تبارك وتعالى حين قال : ﴿ ولْتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ ويَأْمُرونَ بالمعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وأُولَئِكَ هُم المُفْلِحُون ﴾[2] .

﴿ وقَاتلوُهُم حتَّى لَا تكُونَ فِتْنَةٌ ويكُونَ الدِّينُ كُلُّه لله ﴾[3] ، ﴿ انْفرُوا خِفَافًا وثِقَالًا وجَاهِدُوا بِأَمْوالِكُم وأنفسِكُم في سَبيلِ الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

﴿ قَاتِلُوهُم يُعَذِّبْهُم الله بأَيْديكم وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عليهم وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنين ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلوبِهم ويَتُوبَ الله

---

(١) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٤ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٣) سورة الأنفال : ٣٩ .
(٤) سورة التوبة : ٤١ .

على مَنْ يَشَاءُ ﴾[1] ﴿ وجَاهِدُوا في الله حقَّ جِهَادِهِ هُو اجْتَبَاكُم ﴾[2] إلى غير دلك من الآيات .

٨ - حفظ الهيبة والكرامة :

أي حفظ هيبته وحرمته وكرامته :
فلا يجرؤ الأعداء على إيذائه أو التطاول عليه في دم أو مال أو عرض ، لأن له من جماعة المؤمنين ظهيراً ونصيراً ، وحتى لو تجرأ هؤلاء فآذوه في دم أو مال أو عرض فإن إخوانه سينصفونه وسيردُّون له مظلمته على نحو ما حدث حين اعتدى يهود بني قينقاع على حرمة امرأة مسلمة ، وإجلاء النبي ﷺ لهم ، وكما حدث حين لطم الرومي المرأة المسلمة في عمورية ، واستنجدت بالخليفة المعتصم العَباسي فجهز الخليفة جيشا ضخما آخره عنده ، وأوله في عمورية لتأديب الروم على هذه الفعلة القبيحة .

هذا هو شأن المسلم حين يكون في جماعة ، أما إذا كان وحده فإن الأعداء سيتربصون به الدوائر ، وسيكيدون له بكل ما أوتوا من قوة ووسيلة .

---

(١) سورة التوبة : ١٤ : ١٥ .
(٢) سورة الحج : ٧٨ .

ولعل هذا هو السر في حرص الأعداء على أن يظل المسلمون منقسمين على أنفسهم إيمانا منهم بأن السيطرة عليهم والإذلال لهم ونهب ثرواتهم وخيرات بلادهم كل ذلك لا يتم إلا في جو من الفرقة والشقاق ، ومن شعاراتهم في هذا الصدد (فرِّق تَسُد) .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن ندرك الهدف من أمر الله عز وجل للجماعة المسلمة بالوحدة ونبذ الفرقة والتنازع : ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعًا ولَا تفرَّقُوا ﴾[1] ﴿ ولَا تكُونُوا كَالَّذِينَ تَفرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْد ما جَاءَهم الْبَيِّنَاتُ وأُولئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] ﴿ وأَطِيعُوا الله ورَسُولَه ولا تَنَازَعُوا فتَفْشَلُوا وتَذْهَب رِيحُكُمْ ﴾[3] .

٩ — فتح مجال الأجر والثواب :

أي فتح مجالات للأجر والثواب أمام المسلم : ذلك أن المسلم مع الجماعة يجد الفرصة أمامه سانحة لتحصيل مزيد من الأجر والثواب ، فهو يسلِّم على المؤمنين ، وينصح لهم ، ويلبِّي دعوتهم ، ويشمت عاطسهم ، ويعود مريضهم ، ويشيع ميتهم ، ويتفقد غائبهم ، ويودِّع مسافرهم ، ويستقبل

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٥ .
(٣) سورة الأنفال : ٤٦ .

قادمهم ، ويقرض محتاجهم ، ويفرج عن مكروبهم ، ويهدي لهم ، ويقبل هديتهم ، ويشير عليهم ، ويعلم جاهلهم ، ويتعلم من عالمهم ،.. الخ هذه المجالات المؤدية إلى الأجر والثواب ، أما إذا كان وحده فأنىّ له أن يقوم بشيء من ذلك ؟ والمجال أمامه مغلق أو مسدود .

١٠ - التأهُّل لتأييد الله :

أي استجلاب عون الله وتأييده ونصره ، ذلك أن المسلمين مهما كانت كثرتهم ومهما كانت ضخامة استعدادهم محتاجون إلى عون وتأييد من الله عزّ وجل ، خالِق كل شيء والذي بيده الأمر كله ، لاسيما في هذا الوقت الذي ضربت فيه الجاهلية أطنابها بكل مكان ، وأمسك أعداء الله بخناق العالم الإسلامي ، ولم يعد هناك متنفس أو منقذ ، وقد مضت سنة الله .. ألا يتنزل نصره دون تضحيات وتكاليف ، وأبسط هذه التكاليف وتلك التضحيات : أن يجاهد المسلم نفسه وهواه .. وأن يكون مع الجماعة ، ينفذ ما تأمر به ، ويجتنب ما تنهى عنه .

ولقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى هذا المعنى حين قال : « يد الله مع الجماعة »[١] .

* * *

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : ٤ /٤٦٦ رقم ٢١٦٦ من حديث

جـ - الآثار السلبية للفردية والجماعية

أمَّا إذا أهملتْ كلٌّ من الفردية والجماعية ، ولم تأخذ حظَّها من الرِّعاية والتربية ، بحيث قُتِلَتْ تماما أو تجاوزت حدَّها ، فإنَّها تؤدي للآثار السلبية الآتية :

١ - الانزواء أو العزلة :

الأثر السلبي الأول الذي ينشأ من بروز الجماعية وتلاشي الفردية ، إنما يكمن في الانقطاع أو البعد عن النَّاس ، وعدم مخالطتهم أو معايشتهم ، ذلك أن تلاشي الفردية يُصيب النَّفس بالضَّعْف ، أو العجز ، وعدم القدرة على مواجهة أعباء الحياة مع الناس ، فإذا بها تلجؤ إلى الانزواء أو العزلة ، وكأن من ابتلى بهذا الانزواء أو بهذه العزلة يحاول ستر أو تغطية ما طرأ على شخصيته من ضعف أو عجز ، ناسيا أو متناسيا ما يترتب على ذلك من :

استمرار الأخطاء والتمادي فيها ، وفتح الباب أمام شياطين

= ابن عباس مرفوعًا به ، ثم عقَّب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه » وأخرجه النسائي في السنن : كتاب تحريم الدم : باب قتل من فارق الجماعة ٧ /٩٢ - ٩٣ من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي مرفوعا به .

الإنس والجنِّ ليلجوا منه ، ويعملوا عملهم في الإغواء والإضلال ، وإفساد الحياة ، هذا فضلا عن الحرمان من الخبرات والتجارب ، وسيطرة اليأس والقنوط ، والسأم والملل ، وانقطاع العون ، والتأييد الإلهي .

٢ - الكسل والخمول :

والأثر الثاني الذي ينشأ من تلاشي الفردية وبروز الجماعية إنما هو الكسل والخمول وهذا بدوره يؤدي إلى سيطرة أعداء الله ، وإمساكهم بالخناق ، على نحو ما هو واقع ومشاهد في كثير من بلاد المسلمين في العصر الحاضر ، والعجب أن هؤلاء الذين تلاشت الفردية عندهم حتى صاروا قاعدين أو كالقاعدين يحاولون فلسفة هذا القعود قائلين : « النَّاسُ على دِين ملوكهم » ، « دَعْ العبادَ فيما أراد » ، إلى غير ذلك من هذه الشقشقات الفارغة .

٣ - السقوط أو التهاوي على أول الطريق :

والأثر الثالث الذي ينشأ من تلاشي الفردية وبروز الجماعية إنَّما هو السقوط أو التهاوي عند أول امتحان على الطريق ، نظرا لأن الفردية أو الذاتية ممَّا يُعين على التماسك ، والصبر ، والمصابرة ، لاسيَّما في أوقات الشدائد والمحن .

٤ - السكوت عن الحقّ :

والأثر الرابع الذي ينشأ من تلاشي الفردية ، وبروز الجماعية إنَّما هو رؤية الحقّ يعتدى عليه ويهان ، ثم إيثار السكوت والصمت ، والساكت عن الحقّ شيطان أخرس لأنَّه يفسح المجال أمام الباطل ليغرس بذور الشرّ والفساد ، ثم يتعهدها حتى تؤتيَ ثمارها المُرَّةَ ، وتأسَنَ الحياةُ .

٥ - الطاعة العمياء :

وآلأثر الخامس الذي يترتب على تلاشي الفردية ، وبروز الجماعية إنَّما هو الطاعة العمياء ، التي لا تفرِّق بين حق ، وباطل ، طاعة ، ومعصية ، الأمر الذي يفسح المجال لظهور التسلط ، والقهر ، والاستبداد ، والدكتاتوريات .

٦ - التسلط والاستبداد :

وهذا الأثر ينشأ من بروز الفردية إلى حدِّ الأثرة والأنانية ، والإعحاب ثم الغرور والتكبُّر ، ثم ترجمة هذا التكبر في صورة القهر والاستبداد والتسلط الأمر الذي ينشر في الأرض الفساد ، ويأتي على الأخضر واليابس ، ويمزق وحدة الصفّ ، وصدق الله العظيم الذي يقول :
﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يعجبُكَ قَوْلُه في الْحَيَاةِ الدُّنيا ، ويُشْهِدُ اللهَ

على ما في قَلْبِه وهو أَلَدُّ الْخِصَام ، وإذا تَولَّى سعى في الأرضِ لِيُفسِدَ فيها ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ ، والله لا يُحبُّ الْفَسَادَ ، وإذا قيل له اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ العزَّةُ بالإثم ، فحسبُه جَهنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ ﴾[1] .

تلكم هي الآثار السلبية لكلٍّ من الفردية والجماعية ، وقد أشار الأستاذ محمد قطب إلى الأثرين الأول والأخير مِنْ هذه الآثار قائلا :

« الإنسان الذي لا شخصية له في ذاته ، ولا وجود ، لا ينشيء إلَّا مجتمعا مستضعفا خانعا يصلح لأن يحكمه « فرد » متسلط دكتاتور ! ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتور ، والإنسان الذي تبرز شخصيته-بانحراف - إلى حدٍّ الأنانية المرذولة أو الطغيان ، لا يستطيع أن يعيش في وفاق مع الجماعة ولابدَّ أن يتشتت المجتمع ، ويئول إلى البوار »[2] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٢) منهج التربية الإسلامية ١ /١٦٣ .

الفصل الثالث
الفــردية والجماعيــة بين المذاهــب الأرضيــة وبيــن الإســـلام

قدمنا أن لكل من الفردية والجماعية آثارا إيجابية وأخرى سلبية على كيان المسلم وفي واقع الحياة ، وأن مردَّ هذه الآثار إلى منهج التربية ، فإن كان المنهج صحيحا مستقيما ، كانت الآثار الإيجابية ، وكان الانسجام والتوافق ، وإن كان المنهج معوجًّا غير صحيح كانت الآثار السلبية وكان الخلل والاضطراب .

ولما كان منهج التربية في كل أمَّة نابعا من عقيدتها ، وفلسفتها فإننا بحاجة إلى أن نعرض هنا نظرة كل من المذاهب الأرضية ، والإسلام للفردية والجماعية ، ليستبين لنا بجلاء ووضوح أيَّ المذاهب أو أيَّ العقائد والفلسفات نعتمد في هذه التربية ، وإليك أبعاد ومعالم هذه النظرة .

أ - الفردية والجماعية في نظر المذاهب الأرضية :

تنظر المذاهب الأرضية للفردية والجماعية نظرة فيها غلوٌّ وشطط ، فإمَّا أن تميل إلى هذا الجانب أو ذاك ، وقد ترتَّب على هذا الميل ما نشاهده وما نسمعه عن الإنسان في كل أنحاء المعمورة اليوم ، من ضيق وقلق واضطراب نفسي ، بل ومن ذلٍّ وهوانٍ واستعبادٍ .

ولعلَّ هذا الغلو وذلك الشطط نابعان من أن هذه المذاهب من وضع بشر ، وأنَّ البشر مهما نبغوا في العلم ، ومهما اخترعوا وابتكروا فإنهم عاجزون عن الغوص في داخل النَّفس البشرية ومعرفة حقيقة ما تنطوي عليه من أسرار وعجائب .

وما أروع ما كتبه الأستاذ محمد قطب تصويرا لهذه النظرة إذ يقول - وهو بصدد الحديث عن الفردية والجماعية :

« ولقد اضطربت كثير من النظم وكثير من الفلسفات بين هذه النزعة وتلك . بعضها يوسع دائرة الفردية حتى تصل إلى الأنانية المرذولة ، وتفكيك روابط المجتمع ، وتشتيت طاقاته . وبعضها يوسع الدائرة الجماعية حتى تقضي على كيان الفرد وتكاد تلغي وجوده ، إذ تعتبره ذرة ضئيلة تافهة لا يستمد كيانه إلا بوصفه فرداً في القطيع .

ونحن نرى في هذه اللحظة على وجه الأرض مذهبين متنافرين ، كل منهما يقوم على اتجاه .

الرأسمالية في الغرب قائمة على أساس فردية الإنسان ، فتوسع له في حدود فرديته ، وتترك له حرية التصرف في كثير من الأمر ، حتى يصل إلى حد إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين ، فلا تحرج على نشاطه الزائد عن الحد ، ولا تقفه عند حد معقول . يطلق لنفسه عنان الشهوات والأهواء .. ويحطم الأخلاق والتقاليد .. ولا يعترف بحق أحد في توجيهه وضبط تصرفاته .. ويحول أمواله إلى أداة لاستغلال الآخرين ، وامتصاص جهدهم ودمائهم وتحويلها إلى ترف فاجر ومتاع حسّي غليظ .. ويفسد سياسة الحكم وسياسة المجتمع ، ويفسد تصور الناس للحياة .. ومع ذلك فهو يمارس « حريته الشخصية » وليس لأحد عليه سلطان !

والشيوعية في الشرق قائمة على أساس جماعية الإنسان . فتوسع في دائرة الجماعة – أو في الحقيقة الدولة – وتحجر على كل نشاط للأفراد – اللهم إلا نشاطهم الحسي الغليظ فتتركه لهم مباحاً للتنفيس عن الطاقة المكبوتة ! – فتمنع اشتراك الناس الفعلي في سياسة الحكم وسياسة المجتمع ، وتفرض عليهم النظم والترتيبات بحجة أنها أعرف منهم بمصالحهم . فتعيّن لهم أعمالهم ، وأماكن إقامتهم ، كما تعيّن لهم أفكارهم ومشاعرهم وطريقة إحساسهم .. بالأمر . ولا تترك لهم سبيلاً للاختيار . وتحكمهم بالحديد والنار والتجسس ، وتعتبر كل نصيحة للدولة أو القائم عليها خيانة تعاقب « بالتطهير » لأنها نزعة

فردية آثمة ، موجهة ضد كيان الجماعة المقدس ، من فرد لا قداسة له في ذاته ولا كيان !

والفلسفات كذلك تخبطت كثيراً في هذه الأمور . ولم يستطع كثير منها أن يَخْلُصَ إلى حقيقة بَديهية بسيطة ، يؤيدها الواقع المشهود .

إن هذه الفلسفات تفترض أنه إذا كان الإنسان فردي النزعة فالمجتمع إذن مفروض عليه من خارج نفسه متحكم فيه بغير إرادته ، ضاغط على كيانه ، محطم لشخصيته ، ومن ثم فهو مكروه .. وتفتيته وتفكيكه حلال !

أو .. أن النزعة الجماعية هي الأصل . فالطفل يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة .. ولا كيان .. ولولا وجوده في الجماعة ما استطاع أن ينمو وأن يعيش .. وهو في حاجة دائمة للجماعة لكي يستمر في وجوده . وإذن فالنزعة الفردية رجس ينبغي أن يقاوم .. ينبغي أن تسحق هذه الرغبة وأن تُزال !

لماذا ؟!

إن هذه الفلسفات لا تنتبه إلى الطبيعة المزدوجة في هذا الكائن البشري . التي تبدو متناقضة حين ينظر إليها من السطح . ولكنها مع ذلك مترابطة . وهي تؤدي مهمتها في حياة الكائن البشري بتناقضها ذلك وترابطها . كما يؤدي مهمتَه

الحبُّ والكره ، والرجاء والخوف ، والسلبيـة والإيجابيـة ، والحسيـة والمعنوية ، والإيمان بالواقع والإيمان بما وراء الواقـع .. ويخرج لنـا في النهاية مخلوق متعدد الجوانب موحد الكيان ! »[1] .

ب - الفردية والجماعية في نظر الإسلام :

وتختلف نظرة الإسلام إلى الفردية والجماعية عن نظرة هذه المذاهب الأرضية التي قدمنا ، إذ ينظر الإسلام إلى كلٍّ واحدة منهما على أنَّها أمر فطري في تكوين الإنسان ، بل وعلى أنَّها أصيل وأساسي في بنيته ، ومن هذا المنطلق يحرص كلَّ الحرص على صيانتها والمحافظة عليها مع محاولة التوفيق والانسجام بينها وبين تلك التي تقابلها ، فلا خلل ولا اضطراب لا من داخل النَّفس ، ولا في واقع الحياة ، ولم لا يكون ذلك والإسلام حكم الله للإنسان الذي هو صنعة الله ؟ ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[2] ، ﴿ ألا يعلم مَنْ خلق وهو اللَّطيف الخبير ﴾[3] .

يقول الأستاذ محمد قطب :

« والإسلام يوفق بقدر مافى طاقة البشر بين النزعتين

---

(١) منهج التربية الإسلامية ١ / ١٦٢ - ١٦٣ .
(٢) سورة المائدة : ٥٠ .
(٣) سورة الملك : ١٤ .

الأصيلتين المتناقضتين في الظاهر ، إنَّه باديء ذي بدء لا يعتبر إحداهما أصيلة ، وغيرها دخيل ، ولا يعتبر أن تغذية إحداهما تعني بالضرورة الإساءة إلى الأخرى أو إسقاطها من الحساب .

والإسلام دين الفطرة ، وهذه فطرة الإنسان : فرد داخل في المجموع ، أصيل الفردية ، أصيل في الميل للمجموع ، وهو دائم التقلب بين نزعتيه المتناقضتين ، كما يتقلب في نومه من جنب إلى جنب ليستريح !

ولكنَّه في كلِّ لحظة شامل لجنبيه معا على اختلاف في النسبة والمقدار .

والإسلام يعالج كلتا النَّزعتين فيغذِّيهما معاً ، ويجعلهما متساندتين بدلا مِنْ أنْ تكونا متنازعتين !! إنَّه يحتاج إليهما معا ، لأن الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى ، ولذلك لا يكبت أيًّا منهما ، ولا يزيلها عن الوجود ، إن كان في استطاعة أحد أن يزيلها من الوجود »[1] .

ونستطيع بعد هذه الموازنة أو هذه المقارنة أن نؤكد واثقين مطمئنين أن الإسلام والإسلام وحده هو المنهج الفريد الذي يجب اعتماده في كل شيء في حياة البشر لاسيَّما في التوفيق والتوازن بين الفردية والجماعية .

(١) منهج التربية الإسلامية ١ /١٦٤ .

الفصل الرابع
منهـــج الإســـلام فـــي
تربيـــة الفرديـــة والجماعيـــة

وما دام الإسلام هو المنهج الفريد الذي يجب اعتماده في كل شيء في حياة البشر لاسيَّما في التوفيق والتوازن بين الفردية والجماعية ، فإننا سنعرض الآن السبل أو الأساليب التي يسلكها لإنشاء وتنمية الفردية والجماعية في كيان المسلم وفي واقع الحياة . وإليك هذه السبل وتلك الأساليب .

أ - منهج الإسلام في تربية الفردية :

ويتلخص هذا المنهج فيما يأتي :

١ - تعريف الإنسان بكرم أصله وطيب معدنه :

وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن تكريم الله لآدم : ككون الحق - سبحانه - خلقه بيديه ، ثم سوَّاه ، ونفخ فيه من روحه : ﴿ الذي أحسن كلَّ شيء خَلَقَه وبدأ خَلْقَ الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء

مهين ، ثم سوَّاه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السَّمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾[1] وككونه علَّمه الأسماء كلَّها ، ثم أسجد الملائكة له ، ﴿ وعلَّم آدم الأسماء كلَّها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[2] وككونه اجتباه واصطفاه بالنبوة والرسالة على العالمين : ﴿ إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾[3] .

ذلك أن الإنسان إذا عرف أنَّه سليل بيت كريم ومعدن طيب ولَّدت هذه المعرفة في نفسه كيانا مستقلا قائما بذاته بل حملته على حفظه وصيانته لئلا يدنِّس هذا الأصل ، أو يفسد ذلك المعدن .

---

(١) سورة السجدة : ٧ – ٩ .
(٢) سورة البقرة : ٣١ – ٣٤ .
(٣) سورة آل عمران : ٣٣ .

٢ – تعريف الإنسان بعدوِّه الأكبر :

وذلك من خلال النصوص التي تذكر قصة آدم وإسكانه مع زوجه الجنَّة وإغواء الشيطان لهما حتى أخرجهما منها : ﴿ ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنَّة فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظَّالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُرِيَ عنهما من سوآتهما ، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنِّي لكما لمن النَّاصحين ، فدلَّاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنَّة ، وناداهما ربُّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين ، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾[1] .

ذلك أن الإنسان إذا عرف أن أصله حيكت ضده المؤامرات والمكائد حتى حوَّلت حياته من راحة إلى تعب ، بل إن هذه المؤامرات لا تزال تحاك ضدَّه ، إذا عرف ذلك ؛ أنشأت هذه المعرفة في نفسه كيانا مستقلا قائما بذاته ، بل حملته على القصاص والثأر لأصله من هذا العدو وأقل شيء في هذا

---

(١) سورة الأعراف : ١٩ – ٢٤ .

القصاص مخالفته أو معصيته وعدم اتباع خطواته وهو ما أرشد إليه المولى صراحة إذ يقول :

﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنَّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾[1] ، ﴿ ياأيها النَّاس إن وعد الله حق ، فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنَّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[2] ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومَنْ يتَّبع خطوات الشيطان فإنَّه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾[3] .

٣ ـ تعريف الإنسان بمنزلته ومكانته في هذا الكون :

وذلك من خلال النُّصوص التي تتحدث عن صلة الإنسان بربِّه ، وبباقي الموجودات في هذا الكون ، كقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربُّك للملائكة إنِّي جاعل في الأرض خليفة ﴾[4] ، ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾[5] ، ﴿ هو أنشأكم من الأرض ، واستعمركم

---

(١) سورة الأعراف : ٢٧ .
(٢) سورة فاطر : ٥ - ٦ .
(٣) سورة النور : ٢١ .
(٤) سورة البقرة : ٣٠ .
(٥) سورة فاطر : ٣٩ .

فيها ﴾[1] ، ﴿ وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون ﴾[2] ، ﴿ وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾[3] ، ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البرِّ والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضَّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[4] .

ذلك أن الإنسان إذا عرف أنَّه خلق للسيادة في هذا الكون في ظلِّ العبودية التامَّة لله ربِّ العالمين . ولَّد ذلك في نفسه شعورا خاصا ، بأنَّه كيان مستقل له مكانته ومنزلته في هذا الوجود ، بل وحمله على المحافظة على هذا الكيان مهما تكن ضخامة الثمن .

٤ – ربطُ القلبِ البشريِّ بالله :

وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن نعمة الله على العباد ، وحقِّه عليهم :

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين مِنْ قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناءً ، وأنزل مِنَ السَّماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ،

---

(١) سورة هود : ٦١ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٣) سورة الجاثية : ١٣ .

(٤) سورة الإسراء : ٧٠ .

فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾[1] ، ﴿ وله ما سكن في الليل والنَّهار وهو السميع العليم ، قل أغير الله أتخذ وليًّا فاطر السموات والأرض ، وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ، قل إنِّي أمرتُ أن أكون أول مَنْ أسلم ولا تكوننَّ من المشركين ، قل إنِّي أخاف إن عصيتُ ربِّي عذاب يوم عظيم ﴾[2] ، ﴿ وإن هذه أمتكم أمَّةً واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ﴾[3] ، ﴿ واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين ﴾[4] ، ﴿ قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم .. ﴾[5] بل من خلال فرض طائفة من العبادات : كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وقراءة القرآن ، والذكر والدعاء والاستغفار كحقٍّ لله على العباد ، يقول النبي ﷺ لمعاذ : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ » قال : قلتُ : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئا ، وحقُّ العباد على الله ـــ عزَّ وجلَّ ـــ ألَّا يعذِّب مَنْ لا يشرك به شيئا ... »[6] .

---

(١) سورة البقرة : ٢١ - ٢٢ .
(٢) سورة الأنعام : ١٣ - ١٥ .
(٣) سورة المؤمنون : ٥٢ .
(٤) سورة الحجر : ٩٩ .
(٥) سورة الزمر : ١٠ .
(٦) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح كتاب الإيمان : باب الدليل على أن =

ذلك أن الإنسان إذا أدرك نعمة ربِّه التي تغمره مِنْ أعلا إلى أدنى ، وحقَّه عليه انقلبَ يعبد ربَّه حتى تنسيه هذه العبودية كلَّ شيء في هذا الوجود إلا نفسه ، وربَّه .

أجل : إن هذا الإدراك ، وما يتبعه من العبودية لله ليملآن قلب الإنسان بشحنة إيمانية تصيِّره فردا إيجابيا له كيانه الخاص ، وذاتيته المستقلة .

يقول الأستاذ محمد قطب :

فأما الفردية .. الشخصية الاستقلالية .. الكيان الإيجابي القوي .. فينشئه الإسلام بربط القلب البشري بالله !

إن الإنسان ليتصل بربه .. فرداً !

هذه الصلة العميقة الوثيقة السارية في أعماق النفس هي عند كل إنسان صلته الشخصية الفردية بالله !

وإن الإنسان ليستغرق أحياناً في العبادة لله ويستغرق في الحب ، إلى حد أن ينسى كل شيء في الوجود غيره هو وغير الله ! ويخيل إليه في لحظة الاستغراق العميقة أن الوجود كله قد شف وراق .. ثم خلا من كل شيء ومن كل أحد ، إلا قلبه الخافق ... والشعاع النوراني الذي يصل قلبه بالله !

= مَنْ مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١ /٥٨ - ٥٩ رقم ٤٩ من حديث معاذ مرفوعا به ، وزاد في آخره قال : قلت يا رسول الله : أفلا أبشرُ الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا » .

في لحظة الاستغراق هذه يمتلىء الإنسان بالشحنة التي توجهه في الحياة .. توجهه فرداً إيجابياً له كيان .. وإنها لتمنحه قوة عجيبة إزاء كل أحد وكل شيء وكل حدث . إنه يحس أنه يحمل تلك القبسة النورانية المقدسة[1] .. القبسه التي احتملها كيان الإنسان الأول الذي خلقه الله من طين الأرض ونفخ فيه من روحه . ومن ثم فهو قوي فعال مريد متصرف .. فهو لا يخضع لغير الحق الذي أنزله الله . ولا يرضى بأن يخنع ويستنيم ويصبح سلبياً إزاء ما حوله من قيم أو أشخاص أو قوة مادية : لأنه يحس وجوده الفردي ذلك المشحون بتلك القبسة من الله ، متكافئاً لهذه القوى جميعها ، بل مستعلياً عليها في داخل نفسه ولو هزمت قوته المادية المحدودة فترة من الزمان !

ولهذا السبب ذاته تكره الدكتاتوريات الأديان ! إنها من ناحية لا تطيق أن يكون الولاء لأحد غير الدكتاتور ! ومن ناحية أخرى لا تطيق أن يكون الولاء لله بالذات ، لأن هذا الولاء لله هو الذي يؤلب البشر على الطغاة ويحفزهم أن يقفوا لطغيانهم بالمرصاد ، و « من رأى منكم منكراً فليغيره .. » !

هذه الصلة الفردية الشخصية بالله هي التي تمنح الإنسان وجوده المستقل ، فلا يَنْبَهِمُ ولا يضيع في القطيع »[2] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية ١ /١٦٥ .
(٢) منهج التربية الإسلامية ١ /١٦٥ – ١٦٦ .

٥ - التحذير من انمياع الشخصية :

وذلك بواسطة ذم التقليد الأعمى الذي لا دليل عليه يقوِّيه ، ولا برهان يعضده : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتَّبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون ﴾[1] ، ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمَّة ، وإنا على آثارهم مهتدون ﴾[2]. بل برفض التبعية المطلقة صراحة نظرا لأنها تؤدي إلى تلاشي الشخصية تماما .

يقول النبيُّ ﷺ :

« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره ، إلَّا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[3]، « لا تكونوا إمَّعة ، تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا »[4] .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٠ .

(٢) سورة الزخرف : ٢٢ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٣ /١٤٦٩ رقم ١٨٣٩ من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : كتاب البر والصِّلة : باب ما جاء في الإحسان والعفو ٤ /٣٦٤ رقم ٢٠٠٧ من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي عن حذيفة مرفوعا به ثم عقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

٦ – إلزامه بالتكاليف الشرعية لاسيما النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إذ يقول النبي ﷺ :

« الدين النصيحة » قلنا لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] ، « مَنْ رآى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[2] .

وهذه السبيل واضحة ، ذلك أن التكليف بأيٍّ من المهام لاسيَّما إذا كان الأمر أمر تعديل للأوضاع المقلوبة يعني أنَّ المكلَّف صار محل ثقة واهتمام ، وأنَّه كفوٌ للقيام بمثل هذه الواجبات وأنَّى لإنسان عاقل استشعر ذلك أن يرجع عنه أو أن يضيِّعه .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أنَّ الدِّين النَّصيحة ١ /٧٤ رقم ٩٥ من حديث تميم الداري – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١ /٦٩ رقم ٧٨ من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا به .

٧ - إشعار الإنسان بالمسئولية التامَّة عن جميع الأعمال :

وذلك من خلال النُّصوص التي تلقى بمسئولية كلِّ إنسان عن عمله ، فلا هو بالذي يستطيع أن يلقى بحمله على غيره ، ولا هو بالذي يستطيع أن يتلقَّى على كتفه أحمال الآخرين . ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾(١) ، ﴿ واتقوا يوما لا تجزى نفسٌ عن نفس شيئا ﴾(٢) ، ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ﴾(٣) ، ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ، ولو كان ذا قربى ﴾(٤) ، ﴿ كلُّ نفس بما كسبت رهينة ﴾(٥) ، ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره ﴾(٦) .

وإنَّما تؤدى هذه السبيل إلى تربية الفردية عند الإنسان ، نظرا

---

(١) سورة الإسراء : ١٣ - ١٤ .
(٢) سورة البقرة : ٤٨ ، ١٢٣ .
(٣) سورة لقمان : ٣٣ .
(٤) سورة فاطر : ١٨ .
(٥) سورة المدَّثِّر : ٣٨ .
(٦) سورة القيامة : ١٤ - ١٥ .

لأن الإنسان إذا استشعر هذه المسئولية الفردية دائما ، ولَّد هذا الاستشعار في نفسه كيانا مستقلا ، بل جعل أعصابه صاحية منتبهة لكل ما يمسُّه ولو من بعيد .

٨ – ضرورة مَنْح الفرد فترات حرَّة يدبِّر فيها شئونه الخاصَّة :

إذ الإسلام يقدِّر أن لكلِّ فرد شئونَه الخاصَّة به ، والتي تختلف عن شئون غيره ، لذا فهو لا يهملها ولا يتنكَّر لها ، بل يسعى لإشباعها وتلبيتها ، وذلك عن طريق منح هذا الفرد فترات حرَّة يدبِّر فيها شئونه الخاصَّة من الصلاة ، والذكر ، والدعاء ، وقراءة القرآن ، وأداء حقِّ أهله ، وولده ، وأضيافه ، وأرحامه ، والترويح عن نفسه ، الخ هذه الشئون وقد لفت الإسلام النَّظر إلى ذلك في قوله تعالى :

﴿ إنَّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتَّى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسولـه ، فإذا استأذنـوك لبعض شأنهم فأذن لمن شِئتَ منهم ، واستغفر لهم الله ، إنِ الله غفور رحيم ﴾[1] .

---

(١) سورة النور ٦٢ .

٩ - دعوة الإنسان صراحة إلى الاعتزاز بالنَّفْس :

ولا يكتفي الإسلام بمجموع السبل أو الأساليب التي قدمنا في تربية الفردية بل يدعو إلى ذلك صراحة ، فيقول النبيُّ ﷺ « لا يحقر أحدكم نفسه » قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدُنا نفسه ؟ قال : « يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله - عزَّ وجلَّ - له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا ؟ فيقول خشية النَّاس ، فيقول : فإيايَ كنتَ أحقَّ أن تَخْشى »[1] .

تلكم أهم الأساليب أو السبل التي يستخدمها الإسلام في تربية الفردية ، وترسيخها في النَّفس .

ب - منهج الإسلام في تربية الجماعية :

وكما يحدِّد الإسلام السبل أو الأساليب اللازمة لإنشاء وتنمية الفردية عند الإنسان فإنَّه كذلك يحدِّد السبل أو الأساليب اللازمة لإنشاء وتنمية الجماعية ، ويمكن تلخيصها فيما يأتي :

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة : في السنن : كتاب الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢ /١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨ من حديث أبي البختري عن أبي سعيد مرفوعا به ، وأورده البوصيري في : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٤ /١٨٢ - ١٨٣ وعقَّب عليه بقوله : « هذا إسناد صحيح .. رواه أبو داوُد الطيالسي في مسنده .. ورواه البيهقي في الكبرى .. ورواه أحمد بن منيع .. ورواه عبد بن حميد في مسنده » .

١ - التأكيد على الجماعية في الشعائر التعبدية :

ذلك أن هناك طائفة من التشريعات - وأعنى بها الشعائر التعبدية - يمكن أن تقع بصورة فردية ، بَيْد أن الإسلام أكَّد فيها على معنى الجماعية ، بل وشدَّد في ذلك ، فالصلاة مثلا يقول عنها النبيُّ ﷺ :

« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة »[١]، وفي رواية : « بخمس وعشرين درجة »[٢]، « ولقد هممتُ أن آمر بالصَّلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلِّي بالنَّاس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حُزَمٌ من حطب إلى قوم لا يشهدون الصَّلاة ، فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنَّار »[٣]، والصيام مشاركة جماعية ومساواة في الجوع في فترة معيَّنة من

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ /٤٥٠ رقم ٦٥٠ من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ /٤٥٠ رقم ٦٤٩ من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا بلفظ : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا » .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة ١ /٤٥١- ٤٥٢ رقم ٦٥١ من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به .

الوقت ، تبدأ من طلوع الفجر إلى غياب الشمس طوال شهر معيَّن هو شهر رمضان ، لا يصح التقدم أو التأخر عليها ، يقول النبي ﷺ : « الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون .. »(١) والحج ملتقى عام للمسلمين جميعا كلَّ عام ، يجتمعون من كلِّ أطراف الأرض على أقدس غاية وفي يوم واحد هو يوم عرفة ، ﴿ وأذِّنْ في النَّاس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين مِنْ كلِّ فجٍّ عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾(٢) وتعلُّم العلم وتعليمه لا يبارَك إلا بالجماعية ، « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحَفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »(٣) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الصوم : باب ما جاء الصوم يوم تصومون ٣ /٨٠ رقم ٦٩٧ ، وابن ماجة في : السنن : كتاب الصيام : باب ما جاء في شهري العيد ١ /٥٣١ رقم ١٦٦٠ من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا به ، واللفظ للترمذي ، ثم عقَّب عليه الترمذي بقوله : « هذا حديث حسن غريب وفسَّر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال : إنَّما معنى هذا : أنَّ الصوم والفطر مع الجماعة ، وعُظْم النَّاس » .

(٢) سورة الحج : ٢٧ – ٢٨ .

(٣) الحديث أخرجه أبو داوُد في : السنن : كتاب الصلاة : باب في ثواب قراءة القرآن ٢ /٧١ رقم ١٤٥٥ ، وابن ماجة في : السنن المقدِّمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ /٨٢ رقم ٢٢٥ على أنه قطعة من حديث طويل ، كلاهما من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا به ، واللفظ لأبي داوُد .

وقل مثل ذلك في صلاة الجمعة ، والعيدين ، والاستسقاء ، والكسوف ، والخسوف ونحوها .

وعليه ، فإنَّه إذا كانت الجماعية مؤكَّدة ولازمة في التشريعات التي يمكن أن تقع بصورة فردية ، فإنَّها تكون – من باب أولى – أشدَّ تأكيداً ، وأكثر إلزاماً في تلك التي لا تقع ولا تتم كاملة إلا بالجماعية ، كالدعوة ، والتربية ، والجهاد ، وعمارة هذا الكون والسيادة فيه .

٢ – التذكير بأن الجماعية منهج أعداء الله في مقاومة الحقِّ :

إذ يقول الحقُّ ـــ سبحانه ـــ :
﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾[١] ، ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾[٢] ، ﴿ بعضهم أولياء بعض ، ومَنْ يتولَّهم منكم فإنَّه منهم ﴾[٣] .
ولقد صدَّق الواقع ذلك لاسيَّما في هذا العصر .
فإننا نرى هؤلاء يحشدون ، ويجمعون ، ويتعاونون فيما بينهم في شكل أحلاف عسكرية (حلف وارسو – حلف

---

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .
(٢) سورة التوبة : ٦٧ .
(٣) سورة المائدة : ٥١ .

الأطلنطي) ، وفي شكل أسواق تجارية : (السوق الأوربية المشتركة) ، وفي شكل برلمانات ، وهيئات سياسية : (البرلمان الأوربي) وفي شكل اتحادات جمهورية (جمهوريات الاتحاد السوفييتي) وولاياتية : (الولايات المتحدة الأمريكية) .

كل هذا من أجل السيطرة على ديار المسلمين لابتزاز ثرواتهم ، وخيراتهم ، وإذلالهم ، واضطرارهم إلى الكفر أو القتل : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ، ولا النصارى حتى تتَّبع ملَّتهم ﴾[1] ، ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[2] ، ﴿ إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملَّتهم ، ولن تفلحوا إذاً أبدا ﴾[3] ، ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسُّوء ، وودُّوا لو تكفرون ﴾[4] .

وكأنَّ القرآن بحكاية مواقف الكفار هذه يلفت نظرنا – نحن المسلمين – إلى أن الردَّ العملي على هؤلاء أن يلزم المسلم إخوانه ، فتكون لهم بذلك قوَّة قادرة على مواجهة الكفر

---

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .
(٢) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٣) سورة الكهف : ٢٠ .
(٤) سورة الممتحنة : ٢ .

والإلحاد ، وكبح جماحهم ، وإزاحتهم ، وإخلائهم من طريق البشر ليعيشوا أحراراً ، وقد نصَّ الحق صراحة على هذه اللفتة قائلا : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض ، وفسادٌ كبير ﴾[1] ، ﴿ وقاتلوا المشركين كافَّة كما يقاتلونكم كافَّة ﴾[2] .

٣ – التذكير بأن الجماعية سنة كونية :

إذ يذكر الله – عزَّ وجلَّ – لنا في كتابه أن هناك ترابطا بين كثير من الظواهر الكونية الليل والنَّهار ، والشمس والقمر ، وغيرها من المجموعة الشمسية من بين هذه الظواهر إذ يقول الله عز وجلَّ : ﴿ وآية لهم الليلُ نسلخُ منه النهارَ ، فإذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النَّهار ، وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾[3] ،
والدوابُّ على اختلاف أنواعها ، والطيور على اختلاف أشكالها ، كلٌّ مجموعة منها تتعاون فيما بينها ، لتحقيق المهمَّة

---

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .
(٢) سورة التوبة : ٣٦ .
(٣) سورة يس : ٣٧ – ٤٠ .

التي خلقت لها ، قال تعالى : ﴿ وما من دابَّة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم ﴾[1] ، وقد أكَّد الواقع ذلك ، فجماعة النَّحل مثلا تتعاون فيما بينها ، طائفة تبنى البيوت ، وثانية تقوم على تنظيفها ، وثالثة تقوم على توفير الحماية لها ، ورابعة تسرح لتمتص رحيق الأزهار ، ولتخرجه في النِّهاية عسلا مصفًّى فيه شفاء للناس ، ومثل ذلك يحدث لجماعة النمل ، وباقي المخلوقات .

الأمر الذي حدا بالشاعر أن يقول :

النمل تبني قراها من تماسكها
والنَّحل تجني رحيق الشهد أعوانا

وحين تُذْكر هذه السنَّة الكونية في كتاب الله - عزَّ وجلَّ - فإن المقصود من ذكرها أن يفهم الإنسان أنَّه ليس بدعا من المخلوقات ، وإنَّما هو واحد منها تقوم حياته - بضرورياتها ، وكمالياتها - على معنى التعاون والتآزر ، كما قال القائل :

الناس للناس من بدو وحاضرةٍ
بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

---

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .

٤ - تقرير مبدأ الأخوة بين الناس :

فالناس جميعا لتناسلهم من أب واحد وأمٍّ واحدة إخوة في النَّسب « أنا شهيدٌ أنَّ العباد كلَّهم إخوة »[١] ، والمؤمنون لرجوعهم إلى ربٍّ واحد ، ومنهج واحد إخوة في الدين : ﴿ إنَّما المؤمنون أخوة ﴾[٢] .

وهذه الأخوة لها حقوق وواجبات ، تعود في جملتها إلى كلِّ ما يحقق التعاون والتآزر والوحدة ، وقد ذكر القرآن الكريم طرفا منها في سورة الحجرات يبدأ من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا .. إلى قوله تعالى : يا أيها النَّاس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾[٣] .
كما ذكر النبيُّ ﷺ طرفًا منها ، إذ يقول :
« إيَّاكم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث ، ولا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه أبو داوُد في : السنن : كتاب الصلاة : باب ما يقول الرجل إذا سلَّم ٢ /٨٣ رقم ١٥٠٨ من حديث زيد بن أرقم مرفوعا به .
(٢) سورة الحجرات : ١٠ .
(٣) سورة الحجرات : ٦ - ١٣ .

تدابروا ، وكونوا عبادَ الله إخوانا » [(١)].

« حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ ، قيل : ما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : « إذا لقيته فسلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجِبْه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمِّتْهُ ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » [(٢)] « أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ، ونهانا عن سبع : أمرنا باتباع الجنائز ، وعيادة المريض ، وإجابة الداعي ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم ، وردِّ السَّلام ، وتشميت العاطس ، ونهانا عن آنية الفضة ، وخاتم الذَّهب والديباج ، والقِسيِّ ، والإستبرق » [(٣)].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب البرِّ والصلة والآداب : باب تحريم الظَّنِّ ، والتَّجسُّس ٤ / ١٩٨٥ رقم ٢٥٦٣ من حديث أبي هريرة — رضي الله تعالى عنه — مرفوعا به ، وبنحوه .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب السلام : باب من حقِّ المسلم على المسلم ردُّ السلام ٤ /١٧٠٥ رقم ٥ من حديث أبي هريرة — رضي الله تعالى عنه — مرفوعا به وبنحوه .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ٢ /٩٠ ، وكتاب المظالم : باب نصر المظلوم ٣ /١٦٨ — ١٦٩ ، وكتاب النكاح : باب حقِّ إجابة الوليمة والدعوة ٧ /٣١ — ٣٢ وكتاب الأشربة : باب آنية الفضَّة ٧ /١٤٦ — ١٤٧ ، وكتاب المرضى : باب وجوب عيادة المريض ٧ /١٥٠ ، وكتاب اللباس : باب الميثرة ٧ /١٩٧ — ١٩٨ ، وكتاب الأدب : باب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى ٨ /٦١ ، وكتاب الاستئذان : باب إفشاء السَّلام ٨ /٦٤ — ٦٥ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب اللِّباس والزِّينة : باب تحريم استعمال إناء الذَّهب والفضَّة ٣ / ١٦٣٥ — ١٦٣٦ رقم ٢٠٦٦ كلاهما من حديث البراء بن عازب — رضي الله تعالى عنه — مرفوعا به ، وبنحوه ، واللفظ للبخاري .

٥ - التأكيد على المسئولية الجماعية :

وذلك من خلال الخطاب الجماعي ، والتوجيهات الجماعية كقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[١] ، ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون مَنْ حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾[٢] ، ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّة ﴾[٣] ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفَّار وليجدوا فيكم غِلظة ﴾[٤] ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[٥] ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا ﴾[٦] ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم مِنْ عذاب أليم ، تؤمنون بالله

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٣) سورة الأنفال : ٢٥ .

(٤) سورة التوبة : ١٢٣ .

(٥) سورة محمد : ٧ .

(٦) سورة الحجرات : ٦ .

ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾[1] .

٦ - الحضُّ على الجماعية حتَّى في الشئون العادية من الحياة :

وذلك مثل : السَّفر ، والمبيت ، والطعام ، وسائر العادات ، إذ يقول ﷺ :
« لو يعلم النَّاسُ ما في الوحدة لم يسر راكب بليل وحده أبدا »[2] ، و « نهى ﷺ عن الوحدة : أن يبيت الرَّجل وحده ، أو يسافر وحده »[3] ، وشكا إليه بعض أصحابه قائلين : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ، قال : « فلعلكم تأكلون متفرقين » قالوا : نعم ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه يُبارَكْ لكم فيه »[4] .

---

(١) سورة الصفّ : ١٠ - ١١ .

(٢) الحديث أخرجه الدارميُّ في : السُّنن : كتاب الاستئذان : باب إن الواحد في السَّفر شيطان ٢ /٢٨٩ من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٢ /٩١ من حديث ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعا به .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجة في : السنن : كتاب الأطعمة : باب الاجتماع على الطعام ٢ /١٠٩٣ رقم ٣٢٨٦ من حديث وحشي بن حرب - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به .

وقال في حديث آخر :

« كلوا جميعا ، ولا تفرَّقوا ، فإنَّ البركة مع الجماعة » [1] .

وهكذا كان ﷺ وهو الصورة العملية للإسلام يحض على الجماعة حتى في العادات ، ليحمل المسلم حملا على الارتماء في أحضان الجماعة ، والالتزام بما لها من ضوابط وآداب ، فيما هو أكبرُ ، وأهمُّ من الأخلاق ، والعادات .

٧ - الأمر بلزوم الجماعة صراحة مع بيان فوائدها :

وأخيرا لا يكتفي الإسلام بتلك السبل أو الأساليب التي ذكرنا آنفا ، بل ينص صراحة على لزوم الجماعة مع بيان فوائدها ، لئلَّا يكون هناك مجال لتمحُّل أو تأويل ، فيقول الله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2] ، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[3] . ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾[4] ، ﴿وأطيعوا

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الأطعمة : باب الاجتماع على الطعام ٢ /١٠٩٣ - ١٠٩٤ رقم ٣٢٨٧ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه - مرفوعا به .

(٢) سورة المائدة : ٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٥ .

الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[1] ﴿ ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾[2] ويقول النبيُّ ﷺ : « ... وإياكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد »[3] « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه »[4] « ... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .. »[5] « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »[6]

---

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

(٢) سورة الروم : ٣١ - ٣٢ .

(٣) الحديث سبق تخريجه .

(٤) الحديث أخرجه أبو داوُد في : السنن : كتاب السنَّة : باب في قتل الخوارج ٤ /٢٤١ رقم ٤٧٥٨ من حديث أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به ، وأخرج البخاري في : الصحيح : كتاب الفتن : باب قول النبيِّ - ﷺ - سترون بعدي أموراً تنكرونها ٩ /٥٩ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ /١٤٧٦ - ١٤٧٨ من حديث ابن عباس ، وأبي هريرة ، وجندب بن عبدالله البجلي ، وابن عمر - رضي الله تعالى عنهم - مرفوعا بنحوه .

(٥) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٩ /٦٥ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ /١٤٧٥ رقم ١٨٤٧ كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا به .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ بتحقيق الشيخ : أحمد شاكر بنحوه .

« يد الله مع الجماعة » [1] « .. وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهنَّ : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإن من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع .. قالوا يا رسول الله : وإن صلَّى وصام ؟ قال : وإن صام . وصلىَّ وزعم أنه مسلم » [2] « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية ، والناحية وإيّاكم والشّعاب وعليكم بالجماعة ، والعامَّة » [3] .. إلى غير ذلك من النُّصوص التي تدل دلالة قطعية — لا تحتمل تأويلا — على فرضية لزوم الجماعة ، والتي تؤكد أن البعد ، والتفرد ، والعزلة هذه كلُّها تعني : الشتات ، والذلّ ، والهوان في الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة .

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند ٤ /٢٠٢ من حديث الحارث الأشعري مرفوعا به .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥ /٢٤٣ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه — مرفوعا به .

الفصل الخامس
منهج الإسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية

انتهى بنا الحديث فيما مضى إلى أن الإسلام ينظر إلى كلّ من الفردية والجماعية على أنها أمر فطري وأصيل عند الإنسان لا يصحُّ النُّفور منه ، ولا تجوز محاربته ، ولذلك يفرض فرضا ويوجب وجوبا أن يلقى الإنسان بنفسه بين أحضان الجماعة ، وألَّا ينسلخ عنها لحظة من اللحظات ولو كان هناك كدر أو منغِّصات ، إذ يقول سيدنا عليٌّ – رضي الله تعالى عنه –: « كدر الجماعة خير من صفو الفرقة »[1] .

والإسلام بهذا يشبع جانبا فطريا عند الإنسان ألا وهو الميل إلى مخالطة الجماعة والعيش معها ، ومعايشتها ، لكنَّه في نفس

---

(١) الامثال والحكم لأبي الحسن الماوردي ص ١٨٥ .

الوقت يحتفظ للإنسان بفرديته ويحرص حرصا شديدا ، ألّا تخدش هذه الفردية مهما تكن الأسباب والمبررات ، وله في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية ، منهج فريد يمكن تلخيصه فيما يأتي :

١ - الفهم أو الوعي :

والمراد به أن يفهم الفرد ، ضرورة الجماعة وأهميتها في حياته ، وضوابط العمل معها ، وأثر سلوكياته على وجودها ونجاحها ، هذا من ناحية .

فإن هذا الفهم يجعله حريصا على لزومها ، وعدم التخلّي عنها ، مهما تكن الظروف والملابسات وهو كذلك يحمله على الالتزام بضوابط العمل معها ، وبذل أقصى ما في وسعه وما في طاقته ، ليبقى لها الاستمرار ، وليتحقق لها النَّجاح .
ومن ناحية أخرى أن تفهم الجماعة ، منزلة ومكانة الفرد فيها ، وحقوقه عليها ، وأثر تمكينه من نيل هذه الحقوق .

فإن هذا الفهم يحملها على أن تحرص على هذا الفرد ، وألا تتخلّى عنه إلّا إذا تأكدّ لها أن وجوده بينها عنصر تعطيل لمهمتها أو رسالتها[1] .

---

(١) المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة للدكتور سيد عثمان ص ٤٦ - ٤٧ بتصرف كثير .

ويشهد لهذا الجانب من هذا المنهج ، الواقع نفسه ، فإن الواقع ناطق بأن مَنْ جهل شيئا عاداه كما قال الحقُّ — سبحانه — ﴿ بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولمَّا يأتهم تأويله ﴾[1] ،

كما يشهد له تربية الله لرسوله ، ولجماعة المؤمنين أول مرَّة ، فإن هذه التربية بدأت ودارت حول تعريف الإنسان بنفسه ، وبربِّه ، وبالكون المحيط به ، وكيفيَّة تعامله مع إخوانه ، وكيفية تعامل إخوانه معه ، هذا فضلا عن كيفية تعامله مع ربِّه ، ومع الكون المحيط ، حتى إذا وصلتْ هذه الحقائق إلى القلوب ، وتفاعلتْ بها ، وصارتْ كأنَّما هي جزء منها ، كانت الجماعة المسلمة التي وصَفَها الحقُّ – سبحانه – بقوله : ﴿ أشدَّاءُ على الكفَّار ، رحماء بينهم ﴾[2] ، ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتَّبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأعدَّ لهم جنَّاتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾[3]. والتي لم تشهد البشرية لها مثيلا من قبلُ .

---

(١) سورة يونس : ٣٩ .
(٢) سورة الفتح : ٢٩ .
(٣) سورة التوبة : ١٠٠ .

٢ - المشاركة الفعَّالة :

وذلك بأن يقوم كلُّ فردٍ في الجماعة بدوره على النَّحو الذي ينبغي ، مِنْ تنفيذ ما يكلَّف به من واجبات مادامت هذه الواجبات في المعروف ، ومِنْ بذل للنَّصيحة شريطة أن تكون في ثوبها اللائِق بها ، ومِنْ إعمال للفكر بما يعود على الجماعة بالخير والمصلحة[1] .

٣ - رعاية الجماعة للفرد :

وذلك بأن تقوم الجماعة بواجبها نحو الفرد مِنْ رعايته المتمثِّلة في إعطائه حقَّه ، والسؤال عنه ، وعلاج ما يعترض طريقه مِنْ صعاب ، وعقبات ، وإعمال كلِّ طاقاته ومواهبه فيما يناسبها من ميادين أو مجالات ، بل والإجابة عن كلِّ تساؤلاته أو استفساراته ، والنَّظر لمقترحاته بعين التقدير والاعتبار .

٤ - دوام القرب مِنَ الله :

وذلك بأن يواظب كل فرد في الجماعة على ما يجعله ربانيًّا فإن هذه الرَّبانية ما تنشأ في النَّفس إلا بعد طهارة القلوب

---

(١) المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة ص ٤٧ - ٥٠ بتصرف كثير .

وصفائها ، وحين تطهر القلوب وتصفوا يكون الحبُّ والتآلف والترابط بين كلّ أفراد الجماعة ،
إذ القلوب بيد الرحمن يقلّبها كيف يشاء : ﴿ وألّف بين قلوبهم لو أنفقتَ ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكنَّ الله ألّف بينهم ﴾[1] ، ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾[2] ، « إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل ، فقال : إنّي أحبُّ فلانا فأحبَّه ، قال : فيحبُّه جبريل ، ثم ينادى فى السَّماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبُّه أهل السَّماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغضَ عبدا دعا جبريل ، فيقول : إنّي أبغض فلانا فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السَّماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ، ثم يوضع له البغضاء في الأرض »[3] .

وإنّما تتحقق الرّبّانية بالبعد عن المعاصي والسيئات صغيرها

---

(١) سورة الأنفال : ٦٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(٣) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الأدب : باب المقت من الله تعالى ٨ /١٧ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب إذا أحبَّ الله عبدا حبَّبهُ إلى عباده ٤ /٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧ كلاهما من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا ، واللفظ لمسلم ، ولم يذكر البخاري البغض .

وكبيرها ثم الإقبال على الطاعات بدءاً بالمحافظة على الفرائض وانتهاءً بالمواظبة على النوافل مع اتباع السنَّة في كل ذلك .

﴿ قل إن كنتم تحبُّون الله فاتَّبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾[1] ، « مَنْ عادى لي وليًّا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمْعَه الذي يسمعُ به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّـه ، وما تردَّدْتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نَفْس المؤمن يكرهُ الموت ، وأنا أكره مساءته »[2] .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع ٨ /١٣١ من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا به ، وأخرج أحمد في المسند ٦ /٢٥٦ نحوه من حديث عائشة – رضي الله تعالى عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ « قال الله – عزَّ وجلَّ – من أذلَّ لي وليًّا فقد استحل محاربتي ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء الفرائض ، وما يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أحبَّه ، إن سألني أعطيتُه وإن دعاني أجبتُه ، ما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي على وفاته لأنَّه يكره الموت وأكره مساءته »

وأخرج ابن ماجه في : السنن : كتاب الفتن : باب : مَنْ ترجى له السلامة من الفتن ٢ / ١٣٢٠ رقم ٣٩٨٩ نحوه مرفوعا من حديث معاذ – رضي الله تعالى عنه – .

٥ – استشعار المسئولية :

وذلك بأنْ يستشعر الفرد المسئولية الفردية والجماعية لاسيَّما تلك التي تكون غدا بين يدي الله – سبحانه وتعالى – فإن استشعار هذه المسئولية يحمله على تنفيذ كلّ الخطوات التي قدمنا من أجل العيش والتعايش مع الجماعة .

وسنرى بعد قليل ، كيف كان الخوف مِنْ هذه المسئولية دافعا لكل فرد في الجماعة المسلمة التي ربَّاها رسول الله ﷺ أول مرَّة ، أن يقوم بواجبه بدقة وإتقان ، لا فَرْق في ذلك بين أمير ومأمور ، سيِّد أو عبد .

الفصل السادس
الفرديـة والجماعيـة فـي حيـاة الرَّعيـل الأوَّل مِـنَ المسـلمين

وإذا نحن قَلَّبْنا صحائف التاريخ الإسلامي ، ورجعنا بذاكرتنا إلى الوراء : إلى حياة الرَّعيل الأوَّل مِنَ المسلمين ، فإننا نجد أنَّ هذه الفردية ، وتلك الجماعية قد تجسَّدتا واقعا حيًّا في كيانهم ، وفي دنيا النَّاس ، ولكن بتناسق ، وتوافق ، وانسجام عجيب .

ذلك أن الكلَّ أدرك قيمة الجماعية والفردية على كيانه ، وفي واقـع الحيـاة ، فحـرص علـى الارتمـاء في أحصان الحماعـة ، والانضواء تحت لوائهـا ، ملتزمـا بكـلِّ الضوابـط والآداب التـي لابد منها لسلامـة هذه الجماعـة ، والحفـاظ علـى كيانهـا ، في الوقت الذي بقـى محتفظـا فيـه بفرديتـه أو ذاتيتـه دون ذوبـانٍ أو تلاشٍ إذ لم يذكـر لنـا هذا التاريـخ علـى طول وامتـداد مرحلتـه المذكـورة آنفـا أنَّ مسلمـا واحـداً ــ تمكَّـن الإسلام من

قلبه ، وخالطت حلاوتُه بشاشة هذا القلب – انفضَّ عن الجماعة ، وعاش في عزلة بعيدا عنها ، إلا ما كان مِنْ نفر قليل من هذا الرَّعيل آثر العزلة زمن الفتنة ، وعذره أنهَ عزَّ أو صعب عليه أن يستبين المُحِقَّ من المُبْطِلِ ، لاسيَّما والكلُّ مشهود له بالصحبة ، وبمشاهدة الْوَحْي والتنزيل ، ومع هذه العزلة فإنَّه لم ينقطع عن المشاركة في الفتوحات الإسلامية وتحرير الأرض مِنْ كلِّ سلطان إلا من سلطان الله – عزَّ وجلّ –.

كذلك لم يذكر لنا هذا التاريخ أن واحدا في المسلمين لزم الجماعة ثم صار إمَّعة إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء . بل على العكس ، كان يحسن إذا أحسن النَّاس ، ويجتنب إساءتهم إن أساءوا ، مع النصيحة ، والدعوة إلى الحقِّ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا رسول الله ﷺ الذي كان يمثِّل بنبوَّته ، وإمامته ، وقيادته الحكيمة : الجماعةَ المسلمةَ التي ظَهَرَتْ أوَّلَ مرَّةٍ ، لم يعرف عنه – وهو المعصوم المؤيَّد بالوَحْي – أنَّه انفرد بأمر دون أصحابه ، مادام هذا الأمر خاضعا للاجتهاد والرأي لقد كان يشاورهم ، ويحترم وجهة نظرهم ، ويأخذ بها في كثير من الأحايين وما مشاوراته لهم في بدر ، وأحد ، والخندق ، وحادثة الإفك ، والحديبية ونحوها إلا برهان صدقٍ ، ودليل

حقٌّ على ذلك .

وإلى جوار هذا كان شديد الحرص عليهم ، دائم السؤال عنهم ، رءوفاً رحيما بهم ، يفديهم بنفسه في موطن الشدَّة ، ويقدِّمهم على نفسه في موطن الرَّخاء .

يقول البراء – رضي الله تعالى عنه – : « كنَّا ، والله ! إذا احمرَّ البأس نتَّقي به ، وإنَّ الشُّجاع مِنَّا للَّذى يحاذي به – يعني النبي ﷺ »(1) .

ويقول علي رضي الله تعالى عنه – : « كنَّا إذا احمرَّ البأس ، ولقى القومُ القومَ اتَّقينا برسول الله ﷺ فما يكون مِنَّا أحدٌ أدنى مِنَ القوم منه »(2) ولقد فزع أهْل المدينة ذات ليلة ، فانطلق النَّاسُ قِبَل الصوت ، فاستقبلهم النبيُّ ﷺ قد سبق النَّاس إلى الصوت ، وهو يقول : « لن تُراعُوا لن تُراعُوا »

(1) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الجهاد والسِّير : باب في غزوة حنين ٣ /١٤٠١ رقم ٧٩ من حديث البراء – رضي الله تعالى عنه – بلفظ : « جاء رجل إلى البراء فقال : أكنتم وَلَّيتم يوم حنين ، يا أبا عُمارةَ ؟ فقال : أشهد على نبيِّ الله ما ولَّى ، ولكنَّه انطلق أخِفَّاءُ من الناس ، وحُسَّرٌ إلى هذا الحيِّ مِنْ هوازن ، وهم قوم رماةٌ ، فرمَوْهم برَشْقٍ مِنْ نبلٍ ، كأنَّها رِجْل مِنْ جراد ، فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته ، فنزل ، ودعا ، واستنصر ، وهو يقول :

« أنــا النبــيُّ لا كذب أنــا ابــن عبد المطَّلب

اللَّهمَّ نزِّل نصرك » قال البراء : كنَّا والله إذا احمرَّ البأس نتَّقى به .:. الحديث .

(2) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ١ /١٥٦ من حديث علي – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا به .

وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ ، ما عليه سَرْجٌ في عنقه سيف[1] .

وعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : « آللّه ، الذي لا إله إلا هو ، إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض مِنَ الجوع ، وإن كنتُ لأشدُّ الحجر على بطني من الجوعُ ، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر فسألتُه عن آية مِنْ كتاب الله ، ما سألتُه إلا ليشبعني ، فمرَّ ولَمْ يفعلْ ، ثم مرَّ بي عمرُ فسألتهُ عن آيةٍ مِنْ كتاب الله ما سألتُه إلَّا ليشبعني ، فمرَّ فلم يَفْعَلْ ، ثم مرَّ بي أبو القاسم – ﷺ – فتبسَّم حين رآني ، وعرف ما في نفسي ، وما في وجهي ، ثم قال : يا أبا هرٍّ ، قلت : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ ، قال : الحق ، ومضى ، فتبعتُه ، فدخل ، فاستأذن ، فأذن لي ، فدخل ، فوجد لبنا في قدحٍ ، فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهداه لك فلان أو فلانةُ ، قال : أبا هرَ ، قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسولَ الله ، قال : الحِقْ إلى أهل الصفَّة فادعهم لي ، قال : وأهل الصفَّة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على

---

(١) الحديث قطعة من حديث : أخرجه البخاريُّ في : الصحيح : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء ، وما يكره من البخل ٨ /١٦ من حديث أنس – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا بلفظ : « كان النَّبيُّ ﷺ أحسنَ النَّاس ، وأجودَ النَّاس ، وأشجعَ النَّاس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة .. الحديث » .

أحد ، إذا أتته صدَقةٌ بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هديَّةٌ أرسل إليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها ، فساءني ذلك ، فقلتُ : وما هذا اللبن فى أهل الصفَّة ، كنتُ أحقُّ أنا أن أصيب مِنْ هذا اللبن شربة أتقوَّى بها ، فإذا جاء أمرني ، فكنتُ أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني مِنْ هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله ، وطاعة رسوله ﷺ - بدٌّ ، فَأتيتهم فدعوتُهم ، فأقبلوا ، فاستأذنوا ، فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم مِنَ البيت. قال : يا أبا هرٍّ : قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسول الله ، قال : خذ فأعطهم ، قال : فأخذتُ القدح ، فجعلتُ أعطيه الرَّجلَ فيشربُ حتى يَرْوَى ، ثم يَرُدُّ عليَّ القدح فأعطيه الرَّجل فيشربُ حتى يَرْوَى ، ثم يَرُدُّ عليَّ القدحَ فيشربُ حتى يَرْوَى ، ثم يَرُدُّ عليَّ القدح ، حتى انتهيت إلى النَّبيِّ ﷺ وقد روى القومُ كُلُّهم ، فأخذ القدحَ فوضعه على يده ، فنظر إليَّ فتبسَّمَ ، فقال : أبا هرٍّ ، قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسول الله ، قال : بقيتُ أنا وأنت ، قلتُ : صدقتَ يارسولَ الله ، قال : اقعد فاشرب ، فقعدتُ فشرِبتُ ، قال : اشرب ، فشربتُ ، فمازال يقول : اشرب ، حتى قلتُ لا والذي بعثك بالحق ، ما أجِدُ له مسلكا ، قال : فأرني ، فأعطيته القدح ، فحمد الله ، وسمَّى ، وشرِبَ الفَضْلَةَ »[1]

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرِّقاق : باب كيف كان عيش النبيِّ - ﷺ - وأصحابه ، وتخلِّيهم من الدنيا ٨ /١١٩ - ١٢١ ، والترمذيُّ =

هكذا كان رسول الله ﷺ يفدي كل واحد في هذه الجماعة النَّاشئة بنفسه في ساعات الشدة ، ويقدِّمه في ساعات الرَّخاء ، ولمَّا عرف الصحابةُ منه — ﷺ — ذلك ، أحبَّوه من كل قلوبهم ، وفَدَوْهُ بالمهج ، والأولادِ والأهلِ ، والأموالِ ، حتى صار أولى بأنفسهم من أنفسهم ولكن هذا لم يمنَعهم من المراجعة وإبداء الرأي فيما يعرفون أنَّه ليس وحيا وإنَّما محلَّ اجتهاد ونظر .

يقول أبو هريرة : كنا قعودا حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ مِنْ بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وخشينا أن يقتطع دوننا[1] ، وفزعنا فقمنا ، فكنتُ أول مَنْ فَزِع ، فخرجت ابتغي رسول الله ﷺ حتى أتيتُ حائطا للأنصار لبني النجَّار ، فدُرْتُ به هل أجد له بابا ، فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة — والربيع الجدول — فاحتفزت كما يحتفز الثعلب[2] ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقال : « أبو هريرة » فقلتُ : نعم يا رسول الله ، قال : « ما شأنك ؟ » ، قلتُ : كنت بين

= في : السُّنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤ / ٦٤٨ — ٦٤٩ رقم ٢٤٧٧ ، وأحمد في : المسند ٢ / ٥١٥ كلهم من حديث أبي هريرة — رضي الله تعالى عنه — مرفوعا ، واللفظ للبخاري ، وعقَّب الترمذي على روايته بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

(١) وخشينا أن يقتطع دوننا معناه : خفنا أن يصاب بمكروه مِنْ عدوٍّ ونحوه .

(٢) فاحتفزتُ كما يحتفز الثعلب يعني تضاممتُ وتداخلتُ ليسعني المدخل .

أظهرنا ، فقمتَ فأبطأتَ علينا ، فخشينا أن تقتطع دوننا ، ففزعنا ، فكنتُ أول مَنْ فزع ، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي ، فقال : « يا أبا هريرة » وأعطاني نعليه ، قال : « اذهب بنعليَّ هاتين ، فمَنْ لقيت مِنْ وراء هذا الحائط يشهد ألَّا إله إلا الله ، مستيقنا بها قلبه ، فبشِّرْه بالجنَّة » فكان أولَ مــن لقيتُ عمرُ ، فقال : ما هاتان النَّعلان يا أبا هريرة ؟ فقلتُ : هاتان نعلا رسولِ الله ﷺ بعثني بهما . مَنْ لقيتُ يشهدُ ألَّا إله إلَّا الله مستيقنا بها قلبُه بشَّرْتُه بالجنَّة ، فضرب عمر بيده بين ثَدْيَيَّ ، فخررتُ لإستي ، فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأجهشتُ بكاءً ، وركبني عمر ، فإذا هو على أثري ، فقال لي رسول الله ﷺ « مالك يا أبا هريرة ؟ » قلتُ : لقيتُ عمرَ فأخبرته بالذي بعثتني به ، فضرب بين ثَدْيَيَّ ضَربة ، خررتُ لإستي ، قال : ارجع ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا عمرُ ما حملك على ما فعلتَ ؟ » قال : يا رسول الله بأبي أنتَ وأمِّي ، أبعثتَ أبا هريرة بنعليك ، مَنْ لقي يشهد ألَّا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه ، بشَّرَهُ بالجَنَّة ؟ قال : « نعم » ، قال : فلا تفعل ، فإنِّي أخشى أن يتَّكل النَّاس عليها فخلِّهم يعملون ، قال رسول الله ﷺ « فخلِّهم »[1] .

(1) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن مَنْ مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١ / ٥٩ ــ ٦١ رقم ٥٢ من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ مرفوعا به .

ولم تختلف الحال فى عهد الخلفاء الرَّاشدين أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى عنها — فى عهد النبيِّ — ﷺ .

فهذا أبو بكر الصدِّيق – رضي الله تعالى عنه – يقوم بأمر المسلمين ، فيمثِّل قيادة أو رأس الجماعة ثم لا يَنْسى دوره نحو كل واحد من هذه الجماعة ، إذ كان يقضي للعجوز حاجتها ويحلب لها شاتها ، ويوصي بردِّ ما أخذ من بيت المال للأمَّة ، ويسمع لهم بل وينزل عن رأيه في بعض الأحيان إلى رأيهم ، وهم كذلك يعينونه على أمره بلزوم الجماعة ، والطاعة في المعروف ، وبذل النصيحة مع الصدق والإخلاص .

جاء عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، إلى أبى بكر — رضي الله تعالى عنه — فقالا : يا خليفة رسول الله ، إن عندنا أرضا سَبِخة ، لبس فيها كلأ ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعنا إياها لعلنا نحرثها أو نزرعها ، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم ، فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون فيما قالا إن كانت أرضا سبخة لا ينتفع بها ؟

قالوا : نرى أن نقطعهما إياها لعل الله ينفع بها بعد اليوم ، فأقطعهما إياها ، وكتب لهما كتابا بذلك ، وأشهد عمر ، وليس في القوم ، فانطلقا إلى عمر يشهدانه ، فوجداه قائما يهنأ بعيرا له ، فقالا : إن أبا بكر قال : اشهد بما في هذا الكتاب ، فيُقْرأ عليك أو تقرأ ؟ فقال : أنا على الحال الذي تريان ، فإن شئتما فاقرءا !؟ وإن شئتما فانتظرا حتى أفرُغ فأقرأ عليكما ؟

قالا : بل نقرأ ، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه ، فمحاه ، فتذمّرا ، وقالا مقالة شنيعة ، فقال : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما ، والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله قد أعزَّ الإسلام ، فاذهبا فاجهدا جهدكما ، لا رعى الله عليكما إن رعيتما ، فأقبلا إلى أبي بكر ، وهما يتذمَّران ، فقالا : والله ما ندري ، أنت الخليفة أم عمر ، فقال : بل هو لو كان شاء ، فجاء عمر ، وهو مغضب فوقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين ، أهي لك أم للمسلمين عامَّة ؟ فقال : بل للمسلمين عامَّة ، فقال : ما حملك على أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين ؟ فقال : استشرت هؤلاء الذين حولي ، فأشاروا عليَّ بذلك ، قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، فكلّ المسلمين أوسعهم أو أوسَعْتَهم مشورةً ورضا ؟ فقال أبو بكرٍ - رضي الله تعالى عنه - قد كنتُ قلتُ لك إنك أقوى على هذا ، ولكن غلبتني »[1] .

ومثل أبى بكر في هذا الشأن عمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ - رضوان الله عليهم أجمعين -

ونختم حديثنا في هذا الفصل بذكر ثلاثة نماذج تصور لنا أداء هذا الرعيل لواجب النصح والإرشاد تجاه الجماعة ، دون أن

(١) انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٤٣ - ٤٤ وعنه نقل الطنطاويان فى : أخبار عمر ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

يحملهم ذلك على أن ينفضُّوا أو يعتزلوا هذه الجماعة .

الأول في عهد عمر ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ وخلاصته : أنَّه جاءتْ عمرَ برودٌ من اليمن ، ففرَّقها على النَّاس ، بُرْدا ، بُرْدا ، ثم صعد المنبر يخطب ، وعليه حُلَّة منها ـــ أي برداں ـــ فقال : اسمعوا رحمكم الله ، فقام إليه سَلْمَان ، فقال ، والله لا نسمع ، والله لا نسمع ، فقال : ولِم يا أبا عبد الله ؟ فقال : يا عمر ! تَفَضَّلْتَ علينا بالدنيا ، فرَّقْتَ علينا بردا ، بردا ، وخرَجت تخطب في حلَّة منها ؟
فقال : أين عبدالله بن عمر ؟ فقال : ها أنذا يا أمير المؤمنين .
قال : لمن هذين البردين اللذين عليَّ ؟ قال : لي .
فقال لسلمان : عجلتَ عليَّ يا أبا عبدالله ، إنِّي كنتُ غسلتُ ثوبي الخلق ، فاستعرتُ ثوبَ عبدالله ، فقال : أمَّا الآن فقل ؛ نسمعْ ، ونُطِعْ[٢] .

والثاني في عهد عثمان – رضي الله تعالى عنه – وقد أخرجه أحمد عن رجل قال : « كنَّا قد حملنا لأبي ذرٍّ – رضي الله عنه – شيئا نريد أن نعطيه إيَّاه ، فأتينا الرَّبذة فسألنا عنه ، فلم نجده ، قيل : استأذن في الحجِّ فأذن له ، فأتيناه بالبلدة ، وهي بمنى ، فبينا نحن عنده إذ قيل له : إنَّ عثمان – رضي الله عنه –

(١) انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١٣٤ ، وعنه نقل الطنطاويان فى : أخبار عمر ص ١٧٣

صلَّى أربعا ، فاشتد ذلك عليه ، وقال قولا شديدا ، وقال : صليتُ مع رسول الله ﷺ فصلَّى ركعتين وصليتُ مع أبي بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - ثم قام أبو ذر - رضي الله عنه - فصلَّى أربعا ، فقيل له : عِبْتَ على أمير المؤمنين شيئا ثم تصنعه ؟ قال : الخلاف أشدُّ ، إن رسول الله ﷺ خطبنا ، وقال : إنَّه كائن بعدي سلطان ، فلا تذلُّوه ، فَمَنْ أراد أن يذلَّه فقد خلع ربقة الإسلام مِنْ عنقه ، وليس بمقبول منه توبة حتى يسدَّ ثلمته ، وليس بفاعل ثم يعود فيكون فيمن يعزره ، أمرنا رسول الله ﷺ لا تغلبونا على ثلاث نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، ونعلِّم الناس السُّنَنَ »[1] .

والأخير في عهد عثمان كذلك ، وقد أخرجه عبدالرزَّاق عن قتادة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان - رضي الله عنه - صدراً مِنْ خلافته ، كانوا يصلُّون بمكَّة ، وبمنى ركعتين ، ثم إن عثمان صلاها أربعا ، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع ، ثم قام فصلَّى أربعا . فقيل له :

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٥ / ١٦٥ من حديث القاسم بن عوف الشيبانى عن رجل ، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد ٥ / ٢١٦ ، عازيا إياه إلى المسند ، ومعقِّبا عليه بقوله : « وفيه راوٍ لم يُسمَّ ، وبقية رجاله ثقات » ، وعنه، نقل الشيخ محمد يوسف فى : حياة الصحابة ٢ / ٢ — ٣ .

استرجعت ثم صليتَ أربعا ؟ قال : الخلاف شرٌ »[1] .

(١) الحديث أخرجه عبد الرزّاق فى : المصنَّف : كتاب الصلاة : باب الصلاة فى السَّفر ٢ / ٥١٦ رقم ٤٢٦٩ من حديث معمر عن قتادة به ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف فى : حياة الصحابة ٢ / ٣ .

الخاتمـــة

كشفت لنا هذه الدراسة : « شخصية المسلم بين الفردية والجماعية » عن نتائج عِدَّة في غاية الأهمية ، ودونك هذه النتائج :

النتيجة الأولى : أن النَّفْسَ الإنسانية مؤلَّفة من طائفة من الغرائز : تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منها متجاورتان في هذه النفس ، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه .

الخوف والرجاء ، الحبُّ والكره ، الاتجاه إلى الواقع ، الاتجاه إلى الخيال ، الاستعلاء والتواضع ، الشدَّة واللين ... وهلمَّ جرا .

النتيجة الثانية : أن لهذه الغرائز الكامنة في داخل النَّفس الإنسانية دوراً بارزاً في حياة الإنسان ، إذا هي عملت جميعا –

كلٌّ واحدة في المجال الذي يناسبها – ودون أن تطغى إحداها على الأخرى ، إنَّها حينئذ تعينه على أن يحقق السيادة في الأرض ، في ظلِّ العبودية الحقَّة لله ربِّ العالمين .

النتيجة الثالثة : أن الفردية والجماعية هما أمُّ هذه الغرائز ، ورأسها ، إن عملتا بتوازن وتناسق ، عملت باقي الغرائز ، وإن أهملتا أو عطلتا أهملت أو عطلت كذلك باقي الغرائز .

النتيجة الرابعة : أن لكل من الفردية ، والجماعية دوراً إيجابيا ، وآخر سلبيا ، على كيان الإنسان ، وفي واقع الحياة ، والتربية الواعية المتأنية هي التي تحاول إبراز الإيجابيات ، وتجنُّب السلبيات .

النتيجة الخامسة : إن الإسلام وحده هو المنهج القادر على إشباع كل من الفردية والجماعية عند الإنسان ، بل وتحقيق التوازن والانسجام بينهما بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى ، ولم لا يكون كذلك ، وهو حكم الله ؟ ﴿ ومَنْ أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[1] أنزله ليكون هداية للإنسان الذي هو خَلْق الله : ﴿ ألا يَعْلم مَنْ خلق ، وهو اللطيف الخبير ﴾[2] .

النتيجة السادسة : أنَّه لابد لصلاح النَّفس الإنسانية من تحقيق

---

(١) سورة المائدة ٥٠ .

(٢) سورة الملك ١٤

التوازن والانسجام بين الفردية والجماعية : « خالط الناس ، ودينك لا تكلمنَّه » .

النتيجة السابعة : أن تحقيق هذا التوازن ، وذلك الانسجام ليس أمرا مستحيلا ، ولا صعبا ، إذ قد برز إلى الوجود بصورة عملية في حياة الرَّعيل الأوَّل من المسلمين ، وما وقع ولو مرَّة واحدة يمكن أن يتكرر ألف مرَّة ، ومرَّة .

شريطة أن تكون هناك الجدية ، والمجاهدة : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين ﴾[1] .

والاقتداء والتأسّي : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله ، واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا ﴾[2] .

وفي ضوء هذه النتائج أذكّر نفسي ، وكلَّ معنيٍّ بهذا الأمر ، أعني أمر إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة ، والتي شعارها في هذه الحياة :

« قل إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله ربِّ العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرتُ ، وأنا أوَّل المسلمين »[3] .

بضرورة دراسة شخصية المسلم بين كلّ غريزتين من الغرائز

---

(١) الأثر تقدم تخريجه .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٣) سورة الأنعام : ١٦٢ — ١٦٣ .

التي تتألف منها هذه الشخصية على النحو الوارد في هذه الدراسة .

فمثلا تكون هناك دراسة تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الخوف والرجاء » .

وثانية تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الحبِّ والبغض » .

وثالثة تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الإلزام والتطوع » .

ورابعة تحت عنوان :

« شخصية المسلم بين الشِّدة واللين » ،

وخامسة ، وسادسة ، وسابعة .. وهكذا

بحيث توضع هذه التصورات في أيدي المربِّين ، فتسهل عليهم مهمَّة التربية أو نكون قد أعذرنا إلى الله تبارك وتعالى .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ،

وكتبه أبو عبادة

١٤ من المحرم ١٤٠٨ هـ

عشية الإثنين ٧ من سبتمبر ١٩٨٧ م

رأس الخيمة ـــ الإمارات

جريدة المراجع

أخبار عمر

على وناجى الطنطاوي

دار الفكر ــ بيروت ــ الثالثة ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٣م

الأمثال والحكم

أبو الحسن على بن محمد

ابن حبيب المعروف بالماوردى ت ٤٥٠ هـ

دار الحرمين ــ قطر ــ الأولى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م

تاريخ عمر بن الخطاب

أبو الفرج عبد الرحمن بن على

المعروف بابن الجوزى ت ٥٩٧ هـ

دار الرائد العربى ــ بيروت ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م

تفسير القرآن العظيم

الحافظ عماد الدين إسماعيل

ابن عمر المعروف بابن كثير ت ٧٧٤ هـ

دار المعرفة ــ بيروت ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م

حياة الصحابة

الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى

دار المعرفة ـ بيروت

رسائل الإصلاح

الشيخ محمد الخضر حسين

دار الإصلاح ـ الدمام ـ السعودية

السُّنن

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب

المعروف بالنسائى ت ٣٠٣ هـ

دار الكتاب العربى - بيروت

السُّنن

أبو داود سليمان بن الأشعث

المعروف بالسجستانى ت ٢٧٥ هـ

دار إحياء السنة النبوية - بيروت

السُّنن

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن

المعروف بالدارمى ت ٢٥٥ هـ

دار الكتب العلمية ـ بيروت

السنن

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
المعروف بالترمذى ت ٢٧٩ هـ
دار إحياء التراث العربى ـ بيروت

السنن

أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف
بابن ماجة القزوينى ت ٢٧٥ هـ
دار إحياء التراث العربى ـ بيروت

الصحيح

أبو الحسين مسلم بن الحجاج
القشيرى النيسابورى ت ٢٦١ هـ
دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبى القاهرة
الأولى ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م

الصحيح

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
المعروف بالبخارى ت ٢٥٦ هـ
دار إحياء التراث العربى ـ بيروت

الشوقيات

أحمد شوقى أمير الشعراء
دار الكتاب العربى ـ بيروت

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الأســـتاذ أبو الحســـن الندوى

دار الأنصار ـ القاهرة ـ العاشرة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م

مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد

الحافظ نور الدين على بن أبى بكر

المعروف بالهيثمى ت ٨٠٧ هـ

دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م

المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة

د . سيد عثمان

الأنجلو المصرية ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م

المســـــند

الإمام أحمد بن محمد المعروف

بابن حنبل الشيبانى ت ٢٤١ هـ

المكتب الإسلامى ـ بيروت

مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجة

الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر

المعروف بالبوصيرى ت ٨٤٠ هـ

دار العربية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م

المصنف

عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ

المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

منهج *التربية الإسلامية* جـ ١

محمد قطب

دار الشروق ـ القاهرة وبيروت ـ الخامسة

١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

الفهرست

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٠١٧ / ٨٧

الترقيم الدولى ٩ ـ ٤٠ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٣٤٢٧٢١ - ص.ب ٢٣٠
تلكس DWFA UN ٢٤٠٠٤

هـذا الكتـاب

تعدُّ الفردية أي الاعتداد بالنَّفْس ، والحفاظ على ذاتيتها ، واستقلالها ، وكيانها ، وكذلك الجماعية أي الميل إلى العيش في الجماعة ، والتعايش معها من الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني ، يشهد بذلك واقع الإنسان نفسه ، كما تشهد به بعض النُّصوص الشَّرْعية التي تتضمس مسئولية الإسان عن عمله ، فردية كانت هذه المسئولية أو جماعية .

وكلٌ مِنْ هاتين العريرتين إذا أحسن توجيهه ، ووضع في مساره الصحيح فإن له دوره الإيجابي ، وأثره الفعَّال في النَّفس البشرية ، وفي واقع الحياة ، أمَّا إذا أُهمل أو احرف عن مساره الصحيح ، فإنَّه يؤدي إلى التناقض والقلق في داحل النفس ، وبالتَّالي الخلل والاضطراب في واقع الحياة .

والكتاب الذي بين يديك أيُّها القارىء دراسة منصفة للآثار الإيجابية والسلبية لكل من الفردية والجماعية ، وكذلك بيان لمهج الإسلام في تنمية الفردية والجماعية ، والتوفيق بينهما ، مع تقديم صورة حيَّة عن هاتين العريزتين في حياة الرعيل الأول من المسلمين .

والهدف مِنْ وراء هذه الدراسة : أن تجاهد نَفْسَك ، وتسعى لتلبية حاجتها مس الفردية والجماعية ، ولكن باعتدال وقصد : « خالط النَّاس ودينك لا تكلمنَّه » .



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع المنصورة ش الامام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٢٤٢٧٢١/ ٢٥٦٢٢/ ٢٥٦٢٣

المكتبة : امام كلية الطب ت ٢٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من .

دار النشر للجامعات المصرية ـ مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦